

مجلة
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

العدد الرابع - السنة الثامنة - ربيع أول ١٣٩٦ هـ - مارس ١٩٧٦ م

الجامعة الإسلامية

مجلة تصدر اربع مرات في السنة
من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المراسلات المتعلقة بالتحرير ترسل إلى
الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة
العلاقات العامة

ISLAMIC UNIVERSITY MADINA

PUBLIC – RELATIONS

تأييد وشكر

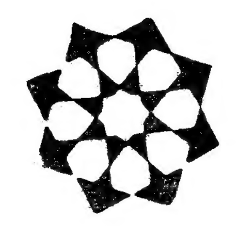
سماحة الشيخ
عبد العزيز بن باز

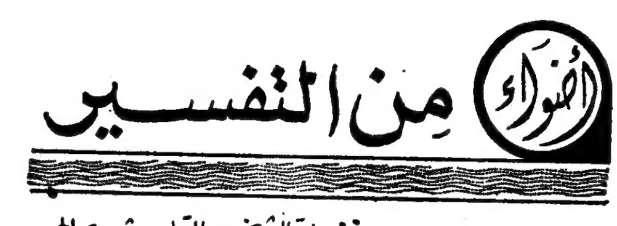
رئيس ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه ، أما بعد : فقد اطلعت على ما كتبه أخونا العلامة الشيخ أحمد محمد جمال في مقالاته الأسبوعية المنشورة في صحيفة المدينة الصادرة بتاريخ ١١ — ١١ — ٩٥ هـ و ١٨ — ١١ — ١٣٩٥ هـ و ٢٥ — ١١ — ٩٥ المتضمنة استنكار ما اقترحه بعض الكتاب من ايجاد دور سينمائية في البلاد تحت المراقبة ، وما وقع من بعض الشركات وغيرها من توظيف النساء في المجالات الرجالية من سكرتيرات وغيرهن والاعلان في بعض الصحف لطلب ذلك . واني لأشكر لأخينا العلامة أحمد محمد جمال هذه الغيرة الاسلامية والحرص على سلامة هذه البلاد مما يشينها ويفسد مجتمعها ويعرضها لما أصاب غيرها من التحلل والفساد وانحراف الأخلاق واختلال الأمن وظهور الرذيلة واختفاء الفضيلة ، فجزاه الله خيرا وضاعف مثوبته ، واني أؤيده كل التأييد فيما دعا إليه من سد الذرايع المفضية إلى الفساد والقضاء على جميع وسائل الشر في مهدها حماية لديننا وصوناً لمجتمعاتنا وتنفيذا لأحكام شرعنا الذى جاء بتحصيل المصالح وتكميلها ودرء المفاسد وتقليلها ودعا إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال وبالغ في التحذير من سفاسف الأخلاق وسيء الأعمال ، وان هذه البلاد كما قال أخونا الأستاذ أحمد هي قبلة المسلمين وأستاذهم وقدوتهم ، فيجب على حكامها وجميع المسئولين فيها أن يتكاتفوا على جميع ما يصونها ويصون مجتمعاتها من عوامل الفساد وأسباب الانحطاط ، وأن يشجعوا فيها الفضيلة ويقضوا على أسباب الرذيلة وأن يحافظوا على جميع أحكام الله في كل الشئون وأن يمنعوا توظيف المرأة في غير محيطها النسوي وأن يدعوا مجتمعات الرجال للرجال وأن يمنعوا منعاً باتاً كلما يفضي إلى الاختلاط بين الجنسين في التعليم والعمل وغيرهما ، ولا فرق في هذا كله بين المرأة السعودية وغيرها وحسبنا في هذا الباب قوله عز وجل « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » الآية وقوله سبحانه « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن »

الآية وقوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » الآية ، وقوله عز وجل : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبـــدين زينتهن إلاّ لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني اخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون » ففي هذه الآيات الكريمات وما جاء في معناها الأمر بالحجاب وغض النظر واخفاء الزينة سدا لباب الفتنة وتحذيراً مما لا تحمد عقباه ، فكيف يمكن تنفيذ هذه الأوامر مع وجود المرأة بين الرجال فى المكاتب والمعارض وميادين الأعمال وحسبنا أيضاً فى هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيـــا واتقوا النســـاء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت فى النساء » .. وقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً فى الحديث الصحيح : « ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء » . فكيف تتقى هذه الفتنة مع توظيف النساء فى ميدان الرجال ، ويكفينا عظة وعبرة ما وقع فى غيرنا من الفساد الكبير والشر العظيم بسبب السماح بعمل الفتيات فى ميدان الرجال . (والسعيد من وعظ بغيره) والعاقل الحكيم هو الذى ينظر فى العواقب ويحسم وسائل الفساد ويسد الذرايع المفضية إليه ، ومما ذكرناه من الأدلة يتضح لذوى البصائر ورواد الفضيلة والغيورين على الاسلام أن الواجب على حكام هذه البلاد والمسئولين فيها وفقهم الله جميعاً أن يمنعوا منعاً باتاً فتح دور السينماء مطلقاً لما يترتب على السماح بذلك من الفساد العظيم والعواقب الوخيمة ، والرقابة فى مثل هذه الأمور لا يحصل بها المقصود ومعلوم أن الوقاية مقدمة على العلاج وأن الواجب سد الذرايع وحسم مواد الفساد وفى واقع غيرنا عبرة لنا كما سلف ، كما يجب تطهير الإذاعة والتلفاز من جميع ما يخالف الشرع المطهر ويفضي إلى فساد الأخلاق والأسر .. ويتضح أيضاً أن الواجب على المسئولين منع توظيف النساء فى غير محيطهن سواء كن سعوديات أو غيرهن وفى ذوى الكفاية من الرجال ما يغني عن توظيف النساء فى

ميادين الرجال وليس هناك مايدعو إلى توظيفهن في ميدان أعمال الرجال الا التأسي بما نهينا عن التأسي بهم من أعداء الله عز وجل أو قصد افساد هذا المجتمع الذى يجب أن يحافظ عليه وأن يحمى من أسباب الفساد ويجب على حملة الأقلام من ذوى الغيرة الاسلامية وعلى أعيان الشعب أن يتكاتفوا مع الحكومة والمسئولين فى كل ما يحمى بلادهم ومجتمعهم من وسائل الشر والفساد لقول الله عز وجل « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وقوله سبحانه « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » وقوله عز وجل « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » والله المسئول أن يوفق حكومتنا وسائر المسئولين فيها لكل مافيه رضاه وصلاح عباده وأن يصلح أحوال المسلمين جميعاً وأن يمنحهم الفقه فى دينه وأن يوفق علماءهم وكتابهم للتمسك بدينه والغيرة له والحفاظ عليه والدعوة إليه على بصيرة وأن يعيذ الجميع من مضلات الفتن ونزغات الشيطان انه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .





لفضيلة الشيخ عبد القادر شيبه الحمد
المدرس بكلية الشريعةبالجامعة

قال تعالى : « وكم من ملك فى السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذنالله لمن يشاء ويرضى . إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى » وماهم به من علم إن يتبعون إلا الظن ، وإن الظن لا يغني من الحق شيئا. فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم . إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى .

المناسبة :

بعد أن ذكر أطماعهم وشهواتهم ، وهم يطمعون أن تشفع لهم هذه الأصنام ، أقنطهم من هذه الشفاعة ، ببيان أن الملائكة المقربين لا تغني شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه لمن يكون أهلاً للشفاعة . فكيف تشفع الأصنام لمن يعبدها ؟

القراءة :

قرأ الجمهور « شفاعتهم » وقرئ شفاعته . وقرئ شفاعاتهم .

المفردات :

كم خبرية للتكثير . « ملك » واحد من الملائكة مأخوذ من المألكة وهيَ الرسالة . ومنه قولهم ألكنى إلى فلان أى أبلغه عني . وسميَ الملك لأنهيبلغ عن الله تعالى . « لا تغني : لاتدفع ولا تنفع . « يأذن » أى يبيح للشافع أن يشفع : « تسمية الأنثى » أى يقولون إنهم بنات الله . « تولى » أعرض . « ذكرنا » أى القرآن . « مبلغهم » غايتهم . « ضل » حاد .

التراكيب :

• قوله « وكم من ملك فى السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » كم فى محل رفع على الابتداء ، والخبر لاتغني . وأفردت الشفاعة على قراءة الجمهور لأنها مصدر ولأنه لو شفع جميعهم لواحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئاً . وجمع الضمير في شفاعتهم مع إفراد الملك باعتبار المعنى أي وكثير من الملائكة . وقوله « شيئاً » مفعول مطلق أي شيئاً من الإغناء . واللام فى قوله : «لمن يشاء » بمعنى فى . والواو فى قوله « ويرضى » لمطلق الجمع . وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رضى عن عبده المذنب فإذا رضى عنه أذن للشافع أن يشفع له ، وهو سبحانه لا يرضى إلا بالتوحيد . وقوله : « إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى » التعبير بالاسم الموصول لتسجيل كفرهم وللإشارة إلى نوع الخبر وأنه من نوع القبائح . فإن قيل : زعمهم لشفاعة أصنامهم إيمان منهم بالآخرة ؛ قلنا : هم لا يجزمون بالحشر ويقولون إن كان حشر فهم يشفعون . وقوله : « ومالهم به من علم » حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال ألا علم لهم بما يقولون أصلاً وعلم مبتدأ مؤخر ولهم خبر مقدم . وقوله : « فأعرض عن من تولى عن ذكرنا » الفاء فصيحة . وكان مقتضى الظاهر أن يقول « فأعرض عنهم » ولكنه وضع الموصول موضع الضمير للتوسل به إلى وصفهم بما فى حيز الصلة من الأوصاف القبيحة مع تعليل الحكم بها . وقوله : « ذلك مبلغهم من العلم » قيل الجملة مقررة مضمون ماقبلها من قصر الإرادة على الحياة الدنيا . والإشارة فيه قيل إلى ماهم فيه من التولى وقصر الإرادة على الحياة الدنيا . وقيل الإشارة إلى جعلهم الملائكة بنات الله . وقيل إلى الظن أى غاية ما يعلمون أن يأخذوا بالظن . وقوله : «إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى » تعليل للأمر بالإعراض ووعيد شديد لهم . وإنما كرر « هو أعلم » لزيادة التقرير والإيذان بكمال تباين المعلومين .

المعنى الإجمالى :

وكثير من الملائكة الذين هم عبـاد مكرمون لا يستطيعون أن يطلبوا أن يخفف العذاب عن أحد إلا إذا رضى الله عمن يشفع فيه وأذن للشافع فى الشفاعة : « مع أنه لا يرضى إلا عن أهل التوحيد .

إن هؤلاء الجاحدين للبعث ليصفون الملائكة الذين هم عند الرحمن بصفا ت الإناث فيقولون هم بنات الله . والحال أنه لا علم لهم بهذا الاسم الذي يطلقونه ، فإنهم لم يشهدوا خلقهم ، ولم يبصروا أجسامهم .

ما ينقادون إلا للخواطر الشيطانية ، وإن الخواطر الشيطانية لاتكون سبيلا للصدق . وإذا كانوا بهذه المثابة فلا تقتل نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ، فإن دأبهم الإعراض ، وديدنهم البعد عن مصدر الخير والشرف . وليست لهم أهداف نبيلة ، ولا مثل عليا . إنما همهم بطونهم وما يدور حولها .

هذا الذي وصفناهم به هو منتهى علمهم ، وغاية معارفهم ، وسيجدون عاقبة كفرهم خزياً ووبالا . . وستجد عاقبة صبرك نصراً وعزا ، لأن ربك لا يعزب عنه أحوالهم الخبيثة ، ولا يضيع عنده صبرك الجميل .

ما ترشد إليه الآيات :

١ ـ إقناط الكفار من شفاعة أصنامهم .
٢ ـ لاشفاعة إلا فى أهل التوحيد .
٣ ـ لابد للشافع من سبق الإذن.
٤ ـ تسمية الملائكة بنات الله من الرجم بالغيب
٥ ـ الرمى بالظنون لا يكون علماً .
٦ ـ الأمر بالصبر عليهم .
٧ ـ الوعيد الشديد لهم .

قال تعالى : « ولله مافى السموات ومافى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنو بالحسنى . الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة . هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذا أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى .

المناسبة :

لما قرر أنه عالم بالضال والمهتدي أردف ذلك ببيان أنه مالك لكل مافى السموات ومافى الأرض ، على سبيل التأكيد للوعيد الشديد .

القراءة :

قرأ الجمهور « ليجزي » بالياء وكذلك « ويجزى » وقرئ « لنجزى » « ونجزى » بالنون فيهما .

وقرأ الجمهور « كبائر الاثم » وقرئ « كبير الإثم » .

المفردات :

المفردات : « ليجزى » ليكافئ « أساءوا » أى ارتكبوا القبائح « أحسنوا » فعلوا الجميل « الحسنى » الجنة . « يجتنبون » اجتناب الشئ تركه والابتعاد عنه كأنه ترك جانبه وناحيته . « كبائر الاثم » كبائر جمع كبيرة قيل هى المعصية التي توجب الحد ، وقيل كل ذنب قرن بالوعيد . وقيل كل مانص الكتاب على تحريمه . وسميت كبيرة لعظم خطرها وثقل وقعها . وأما من قرأ « كبير الاثم » فقيل أريد الجنس وقيل الشرك . « الاثم » الذنب . « الفواحش » جمع فاحشة وهي ما يشتد قبحه من الذنوب يقال فُحش يفحش فحشا وفاحشة. وأفحش إذا جاء بالقبيح من القول أو الفعل . « اللمم » ما قل وصغر وقال أبو العباس المبرد : أصل اللمم أن يلم بالشيء من غير أن يرتكبه يقال ألم بكذا إذا قاربه ، ولم يخالطه . وقال الأزهري : العرب تستعمل الإلمام فى المقاربة والدنو يقال ألـمّ يفعل كذا بمعنى كاد يفعل قال جرير :

بنفسى من تـَجَنـِّيـه عـــزيـــز   على ومـَن زيارتـــه لمـــام

وقال آخر :   لقاء أخلاء الصفا لمـــام

« أنشأكم » خلقكم وأوجدكم . « من الأرض » من التراب والطين . « أجنة » جمع جنين وهو الولد فى البطن ، سمي بذلك لاستتاره . والاجتنان : الاستتار . « فلا تزكوا » فلا تمدحوا على سبيل الإعجاب « اتقى » خاف ربه وعمل بطاعته فاتخذ لنفسه وقاية من عذابه .

التراكيب :

قولـــه : ولله مافى السموات ومافى الأرض » تقديم الجار والمجرور لإفادة الحصر ، وأنها لله خلقاً وملكاً ، لا لغيره أصلا لا استقلالا ولا اشتراكاً . والتعبير بما التي لغير العاقل للتغليب لكثرة أفراده . وقوله « ليجزى » قيل اللام متعلقة بما دل عليه معنى الملك فى قوله . ولله مافى السموات الخ » . أي فيضل ويهدى ليجزي . وعليه فالواو فى قوله « ولله » للاستئناف . وقيل اللام للصيرورة والعاقبة ، لا للتعليل أى عاقبة أمرهم جميعاً للجزاء بما عملوا . وقيل اللام متعلقة بما دل عليه أعلم كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى . وعلى

هذا فجملة ولله مافى السموات الخ اعتراضية . وتكرير الفعل يجزى لإبراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء أو للتنبيه على تباين الجزاءين .

وقوله : « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش إلا اللمم .. الموصول منصوب بدلا من الذين أحسنوا . وصيغة الاستقبال فى صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره . أو منصوب بإضمار أعنى أو هو مرفوع خبرا لمبتدأ محذوف أي هم الذين يجتنبون . وقوله : « والفواحش » من عطف الخاص على العام . والاستثناء فى قوله : « إلا اللمم » منقطع لأنه ليس قبله مايندرج فيه . وقوله إن ربك واسع المغفرة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجه عن حكم المؤاخذة ليس لخلوه عن الذنب فى نفسه بل لسعة المغفرة الربانية . وقيل إنما عقب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بهذا لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمة الله تعالى وقوله : « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » استئناف مقرر لشمول علمه وإحاطته سبحانه بأحوال عباده ، ووقت إيجادهم من التراب ، ووقت استتارهم فى بطون أمهاتهم ، وأفعل التفضيل فيه لا مانع أن يكون على بابه . والفاء فى قوله فلا تزكوا أنفسكم فصيحة . وقوله هو أعلم بمن اتقى استئناف مقرر للنهى.

المعنى الإجمالي :

المعنى الإجمالى : ولله كل كائن فى العالم العلوى والسفلى خلقاً وملكاً ، فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ، ويحفظهما ليكافئ الذين ارتكبوا القبائح بما يسود وجوههم ، ويكافئ الذين فعلوا الجميل بالجنة ، الذين يتركون عظائم الذنوب ، وما اشتد قبحه منها . الا ماقل وصغر . إن سيدك ومالكك ومدبر أمرك عظيم التجاوز عن هفوات عباده ، هو أعلم بكم وقت إيجادكم من التراب ووقت استتاركم فى بطون أمهاتكم ، وإذا كان الأمر كذلك فلا تمدحوا أنفسكم على سبيل الإعجاب بها . هو أعلم بمن خاف ربه ، وعمل بطاعته ، فاتخذ لنفسه وقاية من عقابه .

ما ترشد إليه الآيات :

١ ــ الكائنات كلها لله .

٢ ــ الجزاء من جنس العمل .

٣ ــ اجتناب الكبائر يكفر الصغائر .

٤ ــ سعة عفو الله تعالى .

٥ ــ إحاطة علمه بأحوال العباد .

٦ ــ الإعجاب بالنفس مذموم .

٧ ــ من مدحه الله هو الممدوح .

قال تعالى : « أفرأيت الذى تولى . وأعطى قليلا وأكدى . أعنده علم الغيب فهو يرى . أم لم ينبأ بما في صحف موسى . وابراهيم الذى وفى . أن لا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاهالجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى . وأنه هو أضحك وأبكى . وأنه هو أمات وأحيا . وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى . وأن عليه النشأة الأخرى . وأنه هو أغنى وأقنى . وأنه هو رب الشعرى . وأنه أهلك عاداً الأولى . وثمود فما أبقى . وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى . والمؤتكفة أهوى ، فغشاها ما غَشّى . فبأي آلاء ربك تتمارى . »

المناسبة :

لما بين فى الآيات السابقة أن الكائنات له ، وأنه عالم الغيب ، أنكر هنا أن يكون غيره يعلم الغيب ، ثم عدد نعمه ونقمه ترغيباً وترهيبا .

سبب النزول :

قال مجاهد وغيره : نزلت فى الوليد بن المغيرة كان قد سمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرب من الإسلام ، ثم عاتبه رجل من المشركين ، فقال له : أتترك ملة آبائك ؟ ارجع إلى دين آبائك وأنا أتحمل لك بكل شيء تخافه فى الآخرة على أن تعطيني كذا من المال فوافقه الوليد على ذلك ورجع عما هَمّ به من الإسلام ، وضل ضلالا بعيدا ثم قطع باقى العطاء فنزلت .

القراءة :

قرأ الجمهور « وفي » بتشديد الفاء وقرئ بتخفيفها . وقرأ الجمهور « وأن إلى ربك الرجعى » بفتح همزة أن . وكذلك مابعدها من المواضع . وقرئ بالكسر فيهن . وقرأ الجمهور « وثمود » بغير تنوين . وقرئ بالتنوين .

المفردات :

« تولى » أى أعرض عن الإسلام « أكدى » أصله من الكدية يقال لمن حفر بئرا ثم وصل إلى حجر لا يتهيأ له فيها حفر قد أكدى ثم استعملته العرب لمن أعطى ولم يتم ، ولمن طلب شيئاً فلم يبلغ آخره . قال الحطيئة :

فأعطى قليلا ثم أكدى عطـــاءه ومن يبذل المعروف فى الناس يحمد

ويقال : كديت أصابعه إذا كلت من الحفر ، وكدا البيت قل ريعه . وأكدى الرجل قل خيره . « وفى » أتم ما أمر به نحو وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن « تزر » تحمل . « وازرة » نفس آثمة . « وزر » إثم . « سعى » عمل وقدم . « يرى » أى يبصر فى الآخرة عند العرض . « الأوفى » الأكمل « المنتهى » المرجع والمصير بعد الموت . « أضحك » أفرح حتى انطلقت الأسارير . « أبكى » أحزن حتى سالت العيون . «تمنى » تدفق فى الرحم . « النشأة » الإحياء بعد المـــوت . « أغنى » دفع الحاجة وأكسب المال . « أقنى » أرضى أو أفقر . « الشعرى » هو الكوكب المضئ الذى يطلع بعد الجوزاء . وطلوعه فى شدة الحر ويقال له مرزم الجوزاء . وكانوا يعبدونه فى الجاهلية . « عاد » قوم هود . « الأولى » أى القدماء أو المتقدمون الأشراف : أو أن هناك عادا الأخرى من ولد عاد الأولى . وقيل الأخرى ثمود . « ثمود » قوم صالح عليه السلام « فما أبقى » فما ترك فيهم من باقية . « من قبل » « أى قبـــل عـــاد وثمود . « أظلم » أكثر تجاوزا للحد فى الإيذاء . « وأطغى » أشد عتوا « والمؤتفكة » هى مدائن قوم لوط من دائرة الأردن . وسميت مؤتفكة لأنها أنقلبت . ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذبا . « أهوى » أسقط بعد أن رفعها إلى السماء وجعل عاليها سافلها . « فغشاها » فألبسها وكساها وجعل فوقها من الحجارة ما الله وحده به عليم . « آلاء » نعم . « تتمارى » تتشكك ، أو تجحد .

التراكيب :

: قوله : « أفرأيت الذى تولى » الهمزة للاستفهام التعجبي . والفاء للعطف على محذوف يقتضيه السياق ورأى بصرية مفعولها الموصول وقيل علمية والمفعول الثاني جملة أعنده علم الغيب . « فهى داخلة فى حيز الاستفهام . المقصود منه الإنكار . ويرى علمية أى فهو يعلم أن غيره يتحمل عذاب الآخرة . وهذه الجملة المقدرة سدت مسد مفعولى يرى . وقوله : « أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى » أم فيه منقطعة ، بمعنى بل والهمزة وتقديم موسى فى الذكر لأن صحفه عندهم أشهر وأكثر ، وقوله : « أن لا تزر وازرة وزر أخرى » أن هى المخففة من الثقيلة وهى فى محل جر بدلا من ما فى قوله . « بمافى صحف موسى » أو فى موضع رفع خبر لمبتدأ محذوف كأن قائلا قال : مافى صحفهما ؟

فقيل : أن لا تزر وازرة وزر أخرى . وقوله « وأن ليس للإنسان إلا ماسعى »
أن فيه مخففة من الثقيلة أيضاً واسمها ضمير الشأن محذوف . ولم يفصل هنا بينها وبين
الفعل لأنه لايتصرف . ومحلها الجر أو الرفع عطفاً على أن قبلها . وقوله « وأن سعيه
سوف يرى » معطوف على ماقبله فهو في محل جر أو رفع كذلك . وقوله « ثم
يجزاه الجزاء الأوفى . » الضمير المرفوع في يجزاه عائد على الإنسان والمنصوب عائد
على سعيه . والجزاء مصدر مبين للنوع . وقد تعدى يجزى إلى المفعول بنفسه هنا .
وقوله . « وأن إلى ربك المنتهى » بفتح أن عطفاً على ماقبله ، وكذلك المواضع
السبعة الباقية . وعلى هذا فيكون مضمون هذه الجمل موجودا في الصحف المذكورة.

وأما على قراءة كسر الهمزة في هذه المواضع الثمانية فعلى الاستئناف ، ولا يكون
مضمون هذه الجمل موجودا في الصحف المذكورة فيكون ما في الصحف قد
تم بيانه وانتهى عند قوله « الجزاء الأوفى » وقوله « وأنه هو أضحك وأبكى »
وأنه هو أمات وأحيا » المفعول في هذه الأفعال محذوف لقصد العموم . وقد أتى
بضمير الفصل لدفع ما يتوهم من أنها بفعل الإنسان . وكذلك الحال في قوله :
« وأنه هو أغنى وأقنى » وأما قوله « وأنه خلق الزوجين » فإنه لم يؤكد بالفعل لأنه
لا يتوهم إنسان أنها بفعل أحد من الناس . وهكذا الحال في الإنشاء الآخر وإهلاك
عاد . والتعبير بعليه في قوله « وأن عليه النشأة الأخرى » للإشعار بوجودها لا محالة
كأنه تعالى أوجب ذلك على نفسه . وقوله « وأنه هو رب الشعرى » جئ فيه بضمير
الفصل لأن الشعرى لما عبدت من دون الله تعالى نص على أنه تعالى هو ربها وموجدها .
وقوله « وثمود فما أبقى » ثمود معطوف على عاداً . وهو بالصرف اسم لأبى القبيلة .
والضمير في قوله « إنهم كانوا هم أظلم وأطغى » لقوم نوح . وأنهم أطغى من عاد
وثمود . ويجوز أن يكون الضمير لجميع من تقدم من الأمم الثلاثة أى كانوا أطغى
من قريش . ويكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقوله « هم »
يجوز أن يكون توكيداً للضمير المنصوب الواقع اسما لإن ، ويجوز أن يكون فصلا ،
لأنه واقع بين معرفة وأفعل التفضيل . وإنما حذف المفضول بعد الواقع خبر لكان
لأنه جار مجرى خبر المبتدأ ، وحذفه فصيح فيه فكذلك في خبر كان . وقوله
« والمؤتفكة أهوى » يجوز أن تكون المؤتفكة منصوبة بأهوى ، ويجوز أن يكون
معطوفاً على ماقبله . وأهوى جملة في محل نصب على الحال لتوضيح كيفية إهلاكهم
أى وأهلك المؤتفكة مهوياً بها . وقوله « فغشاها ماغشى » يجوز أن يكون الفاعل
ضميرا يعود على الله عز وجل وقوله ماغشى مفعول به . ويجوز أن يكون الموصول

هو الفاعل . والإيهام للتهويل . وقوله « فبأى آلاء ربك تتمارى » الباء للظرفية والخطاب للسامع ، والاستفهام للإنكار ، وقد سبق ذكر نعم ونقم وقد جعلها كلها آلاء لما فى النقم من الزجر والوعظ وهو نعمة لأصحاب العقول .

المعنى الإجمالي : أممدت عينك فأبصرت الذى أعرض عن الاسلام، وأعطى شيئاً قليلا لمن تعهد بتحمل العذاب عنه ، وقل خيره . ننكر أن يكون لديه علم الغيب ، وأنه يعلم أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة ، بل ألم يخبر بالخبر الذى فى أسفار موسى من التوراة ، وأسفار إبراهيم الذى أتم ما أمر به ، أنه لا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس مذنبة أخرى ، وأن الحال والشأن ليس لأحد من الخلق ثواب ولا عقاب إلا على عمله ، وأن ما يعمله الإنسان سوف يبصره معروضاً عليه فى الآخرة ، ثم يثاب عليه الثواب الاتم . وأن إلى ربك المصير والمرجع . وأنه سبحانه لا غيره أفرح من شاء حتى انطلقت أساريره ، وأحزن من شاء حتى سالت عيونه . وأنه سبحانه لا غيره سلب الحياة ممن شاء ومنحها من شاء ، وأنه أوجد الصنفين الذكور والإناث من سائر الحيوانات من منى عند تدفقه فى الرحم وأن الإحياء الآخر بعد الموت حتم لابد من وجوده . وأنه أكسب المال وأرضى أو أفقر .

وأنه سبحانه لا غيره مالك مرزم الجوزاء الذى عبده الجاهلون . وأنه دمر قوم هود وقوم صالح لما كذبوا الرسل ، فما ترك منهم باقية . وأهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود . إن قوم نوح كانوا أشد تجاوزا للحد فى إيذاء الرسل ، وأعتى من قوم هود وقوم صالح . والمدائن المنقلبة من دائرة الأردن أسقطها بعد أن رفعت إلى السماء على طرف ريشة من جناح جبريل فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليها حجارة من سجيل . ففى أى أنعم الله المتعددة تتشكك ؟ .

ما ترشد إليه الآيات :

١ – سوء حال من نزلت فيه الآيات   ٢ – أن الغيب لله .
٣ – أن صحف موسى وإبراهيم المشتهرة تنص على أنه لا يتحمل أحد وزر أحد .
٤ – لا ينال الإنسان غير عمله .   ٥ – سيعرض عليه عمله فيجازى عليه .
٦ – تشريف المحسن وتوبيخ المسئ   ٧ – إثبات القضاء والقدر .
٨ – لابد من البعث حتماً .   ٩ – تدمير المكذبين .
١٠ – ظهور أنعمه تعالى :

تتعين كتابة المصحف على الرسم العثماني

[illegible]

الاستاذ بكلية القرآن الكريم بالجامعة

نشرت صحيفة « المدينة » بعددها الصادر فى ١٥ من شهر ذى القعدة سنة ١٣٩٥ هـ الموافق ١٨ نوفمبر سنة ١٩٧٥ م – كلمة تحت عنوان « من وحى آية قرآنية كريمة » رسم المصحف على قواعد الإملاء « للأستاذ الكاتب الكبير « على حافظ » يحدثنا الأستاذ فيها عن حوار حمى وطيسه بينه وبين صديقيه الدكتور عمر أسعد – والأستاذ سامي كتبي – فى تصحيح قوله تعالى فى سورة المعارج . « فلا أقسم برب المشارق والمغارب » فالأستاذ يقرؤها « برب المشرق والمغرب » ويصمم على ذلك ، ويؤكده نظراً لحذف الألف بعد الشين فى المشارق ، وبعد الغين فى المغارب ، ولم ينتبه الأستاذ إلى أن فوق كل من الشين والغين ألفاً صغيرة يسميها علماء رسم القرآن .. « ألف الإشارة » لأنها تشير إلى الألف المحذوفة . وتقوم مقامهما ، وتدل عليها ،

واستمر الشجار بينه وبين الأستاذ سامي إلى أن جاء الصديق الدكتور عمر أسعد ، ونبه الأستاذ إلى هذه الألف ، وأكد له أن صحة الآية (برب المشارق والمغارب) فاقتنع الأستاذ برأى صديقه ، ورجع إلى الآية يقرؤها على وجـــــه الصواب كما أنزلها الله تعالى .

ثم خلص الأستاذ من الحوار وتصحيح الآية إلى التساؤل « لماذا لا يطبع المصحف بالرسم الإملائي المتداول ، والــذي أصبح علماً يدرس فى المدارس ، لتسهل قراءة كتاب الله على المسلمين . ثم قال :

إننا في حاجة قصوى لطبع القرآن الكريم على قواعد الإملاء .

ثم ذكر بعد ذلك أنه – منذ نحو سنتين – تقدم للحكومة بمشروع – ورجا الحكومة الرائدة الموفقة أن تحتضنه وتعمل على تنفيذه ، وقد تضمن مشروعه أن تأمر الحكومة بإنشاء مطبعة ضخمة متكاملة خاصة بالمشروع ، لا عمل لها إلا طبع المصاحف الشريفة – على قواعد الرسم الإملائى طبعاً – وتجليدها بمختلف الأحجام ، ثم توزيعها على العالم الإسلامي كله لتختفي بعد ذلك الطبعات الأخرى

التي لا يستطيع القارئون فيها أن يقرءوا بدون أخطاء . الخ ما قال .

أخي الأستاذ الكبير السيد .. على حافظ .

أحب أن أقص عليك من أنباء سلف الأمة ، وأعلام الإسلام ، وأئمة القرآن ما يثبت فؤادك ، ويثلج صدرك — ويملأ قلبك إيماناً ويقينا بوجوب كتابة المصحف على مقتضى الرسم العثماني القديم . وأسوق لك من الأدلة القواطع ، والحجج النواهض على ذلك مافيه الغَنَاء إن شاء الله تعالى :

كان للنبي صلى الله عليه وسلم كُتّاب يكتبون له الوحى ، وقد كتبوا القرآن كله بهذا الرسم ، وأقرهم الرسول صلى الله عليه وسلم على كتابته .

فانتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وقد كتب القرآن كله على هذه الكيفية المخصوصة لم يحدث فيها تغيير ولا تبديل .

ثم ولى الخلافة بعده أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فأمر بكتابة القرآن كله فى الصحف على هذه الهيئة ، ثم جاء الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه فأمر بنسخ المصاحف من صحف أبي بكر على هذا الرسم أيضاً — ووزع عثمان هذه المصاحف على الأمصار الإسلامية — لتكون إماماً للمسلمين ، وأقر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل أبي بكر وعثمان فى المصاحف . ولم ينكر أحد منهم عليهما شيئاً — بل ظفر كل منهما بإقرار جميع الصحابة لعملهما واستمرت المصاحف مكتوبة بهذا الرسم فى عهد بقية الصحابة . ثم فى عهد التابعين . وتابعي التابعين ، والأئمة المجتهدين ، فى عصورهم التابعين ، والأئمة المجتهدين ، فى المختلفة ، ولم يثبت إن أحداً من هؤلاء جميعاً حدثته نفسه بتغيير هجاء المصاحف ورسمها الذي كتبت عليه أولا ، وكتابتها برسم آخر يساير الرسم المحدث الذى حدث فى عهد ازدهار التأليف فى الكوفة والبصرة بل ظل هذا الرسم القديم قائماً مستقلاً بنفسه ، بعيداً عن التأثر بالرسم الحادث . نعم ظل الرسم القديم منظورا إليه بعين التقديس والإكبار فى سائر العصور المختلفة . والأزمنة المتفاوتة ، مع أنه قد وجد فى هذه العصور المختلفة أناس يقرءون القرآن ولا يحفظونه ، وهم فى الوقت نفسه لايعرفون من الرسم إلا هذاالرسم المحدث الذى وضعت قواعده فى عصر التأليف والتدوين ، وشاع استعمال هذه القواعد بين الناس فى كتابة غير القرآن ولم يكن وجود هذا الصنف من الناس

مما يبعث الأمة على تغيير رسم المصحف بما تقضي به هذه القواعد الجديدة .

وإذا ثبت أن الرسم القديم الذى كتبت عليه المصاحف قد حظى بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم له ، وإجماع الصحابة عليه ، ورضا أئمة الصدر الأول — وهم خير الأمة — عنه . واتفاق التابعين وأتباعهم ، والأئمة المجتهدين عليه — فلا يجوز العدول عنه إلى غيره . لا سيما وأنه أحد أركان القراءةالصحيحة

وهاك نصوص الأئمة من صدور هذه الأمة وعظمائها .

روى الإمام السخاوى — من أجلاء علماء القراءات — أن مالك بن أنس إمام دار الهجرة سئل : أرأيت من استكتب مصحفاً — أيكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم ؟ فقال مالك : لا أرى ذلك — ولكن يكتب على الكتبة الأولى ، قال السخاوي ، والذى ذهب إليه مالك هو الحق ، إذ فيه بقاء الحالة الأولى إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى .

ولاشك أن هذا هو الأحرى . إذ فى خلاف ذلك تجهيل بأولية مافى الطبقة الأولى انتهى .

وقال الإمام أبو عمرو الدانى : لا مخالف لمالك من علماء هذه الأمة .

وقال الدانى أيضاً : سئل مالك عن الحروف فى القرآن .. مثل الواو ،والياء والألف . أترى أن يغير من المصحف إذا وجد فيه شيء من ذلك ؟ قال : لا . قال أبو عمرو : يعنى الواو والياءوالألف الزائدات فى الرسم . المعدومات فى اللفظ . نحو : لا أذبحنه ، بأييد ، وأولو ، وهكذا ..

وقال الإمام أحمد بن حنبل : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان فى واو . أو ياء .. أو ألف أو غير ذلك .

وقال صاحب المدخل : يتعين على كاتب المصحف أن يترك ما أحدثه بعض الناس فى هذا الزمان من نسخ المصحف على غير المرسوم الذىاجتمعت عليه الأمة . انتهى .

وقال الإمام النيسابوري : وقال جماعة من الأئمة إن الواجب على القراء والعلماء وأهل الكتابة أن يتبعوا هذا الرسم فى خط المصحف ، فإنه رسم زيد بن ثابت وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكاتب وحيه . انتهى .

وقال الإمام البيهقي فى شعب الإيمان من كتب مصحفاً ينبغي أن يحافظ على الهجاء الذى كتبوا به تلك المصاحف ، ولا يخالفهم فيه ، ولا يغير مما كتبوه شيئاً . فإنهم كانوا أكثر علما ، وأصدق قلباً ولسانا . وأعظم أمانة منا . فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكا عليهم .. انتهى .

ونقل الإمام الجعبري وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني .

٢ – إن قواعد الهجاء والإملاء الحديثة عرضة للتغيير والتنقيح فى كل عصر، وفى كل جيل .
فلو أخضعنا رسم القرآن لهذه القواعد لأصبح القرآن عرضة للتغيير والتبديل .
وحيطتنا للكتاب العزيز ، وتقديسنا له يضطرنا إلى أن نجعله بمنأى من هذه التغييرات فى رسمه وكتابته

٣ – إن تغيير الرسم العثماني ربما يكون مدعاة – من قريب أو من بعيد – إلى التغيير فى جوهر الألفاظ والكلمات القرآنية ، ولاشك أن فى ذلك القضاء على أصل الدين . وأساس الشريعة ، وسد الذرائع – مهما كانت بعيدة – أصل من أصول الشريعة الإسلامية التي تبنى عليها الأحكام . وما كان موقف الأئمة من الرسم العثماني إلا إلا بدافع من هذا الأصل العظيم . مبالغة فى المحافظة على كيان ألفاظ القرآن ، وصيانتها من تطرق التحريف إليها ، والعبث فيها ، ومن طريف مايذكر فى هذا الموضوع أن محكمة استئناف مصر حكمت بمصادرة مصحف . وعللت حكمها بأن هذا المصحف مكتوب حسب قواعد الإملاء . ومخالف للرسم العثماني الذي يجب أن تكتب المصاحف كلها حسب قواعده . وكان من حيثيات حكمها أيضاً أن الأمم الراقية تحافظ على آثار سلفها . وتجعلها فى المحل الأول من العناية والمحافظة .

ومن ذلك أن الشعب الانجليزي لم يسمح لطابع ما ، ولا لنا شر كائنا من كان أن يكتب أشعار « شكسبير » شاعرهم العظيم بغير لغة العصر الذي عاش فيه – مع تغير كثير من كلماته وطرق إملائه عن العهد المتداول فى عصر الشاعر المذكور .

لم يسمح الانجليز بهذا ، لأن شعر الشاعر المذكور أصبح فى نظرهم مقدساً لا يجوز المساس به حتى فى طريقة إملائه أفلا يكون الأجدر بالمسلمين – وهم يقدسون كتابهم أشد من تقديس الانجليز لشعر هذا الشاعر – أن يحافظوا على رسمه وكتابته ؟؟ انتهى

وأما ما يستند إليه الأستاذ الكاتب ، ويتعلل به فى وجوب طبع المصحف على قواعد الإملاء من أن أى قارئ – حتى ولو كان طالباً جامعياً – لايستطيع القراءة فى المصاحف المكتوبة على الرسم العثماني دون أخطاء متواصلة ، ولو طبع المصحف برسم الإملاء لاستطاع الجميع قراءته مع تفادي الأخطاء . ولكانت تلاوته ميسورة للمسلمين

القارئين » — فنقول له فى صراحة إن ما استندت إليه . وتعللت به يجافي الحقيقة ، ولا يتلاقى مع الواقع . فإن المصاحف فى هذا العصر — وبخاصة المصاحف المصرية — قد ضبطت بالشكل التام ، ووضعت فيها علامات مخصوصة تدل على الحروف المحذوفة التي ينطق بها ، وأمارات معينة تدل على الحروف الزائدة التي لاينطق بها وألف جمهور المسلمين القراءة فى هذه المصاحف دون أخطاء ، ومرنوا على القراءة فيها دون تعثر أو مشقة .

ومن يقرأ — بإمعان وروية — اصطلاحات رسم المصحف وضبطه الموضوعة فى ذيل كل مصحف مصري تحت عنوان « التعريف بالمصحف الشريف » يستطيع أن يقرأ فى المصحف بغاية اليسر والسهولة .

٤ — ذكر أئمة القرآن أن للرسم العثماني مزايا جليلة ، وفوائد جمة نقتصر منها على فائدتين اثنتين .

الأولى : الإشارة إلى مافي الكلمة من قراءات . فإذا كان فى الكلمة القرآنية قراءتان فإنها تكتب بصورة تحتمل كلتا القراءتين ، وإذا لم يكن فى الكلمة إلا قراءة واحدة كتبت بهيئة لاتحتمل غيرها ، ومن أمثلة ذلك كلمة « سراجا ، وردت فى القرآن فى سورة الفرقان فى قوله تعالى : « وجعل فيها سراجاً وقمرا منيرا » آية ٦١ وفى سورة الأحزاب فى قوله تعالى : « وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا » آية ٤٦ وفى سورة النبأ فى قوله تعالى « وجعلنا سراجا وهاجا » آية ١٣ كتبت كلمة « سراجاً » فى سورة الفرقان بحذف الألف . لأن فيها قراءتين . إحداهما بضم السين والراء من غير ألف بعدها ، على الجمع والأخرى بكسر السين وفتح الراء وألف بعدها على الإفراد .

فكانت كتابتها بحذف الألف لتحتمل القراءتين قراءة الإفراد وقراءة الجمع . ولو كتبت بإثبات الألف لم تكن محتملة إلا لقراءة الإفراد .

وكتبت فى سورة الأحزاب وسورة النبأ بإثبات الألف لاتفاق القراء على قراءتها بكسر السين وفتح الراء والف بعدها على الإفراد فى الموضعين

الفائدة الثانية : إفادة بعض لغات العرب . وذلك مثل كتابة هاء التأنيث تاء مفتوحة فى بعض المواضع للإيذان بجواز الوقف عليها بالتاء على لغة (طيئ) نحو « إن رحمت الله قريب من المحسنين» فى الأعراف وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها فى إبراهيم ، ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط » فى التحريم . وإن يعودوا فقد

مضت سنت الأولين » فى الأنفال .
إن شجرت الزقوم . فى الدخان .

ومثل : قال ذلك ماكنا نبغ .. فى الكهف . كتبت كلمة « نبغ » بحذف الياء على لغة هذيل التي تحذف لام الفعل المضارع المعتل من غير دخول جازم عليه .

واخيراً يقول الأستاذ الكاتب : إنني أتحدى أى طالب جامعي فضلا عن الطالب الابتدائي والثانوي — اتحداه أن يقرأ القرآن فى المصاحف الموجودة دون أخطاء متواصلة . ثم يقول : وأؤكد أن المصحف الشريف إذا طبع برسم الإملاء العلمي استطاع الجميع قراءته مع تفادي الأخطاء » .

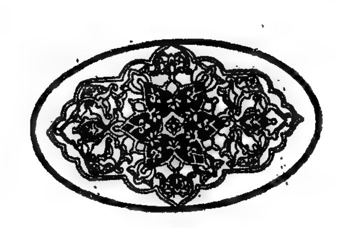
وأقول أنا : « إنني مع الأستاذ فى هذا التحدي ، بيد أنى أضيف إلى الطالب الجامعي — السواد الأعظم ، والكثرة الكاثرة من المثقفين على اختلاف ثقافتهم ، وتنوع معارفهم ، وتباين استعدادهم ، فإن أحداً من هؤلاء — مهما علا كعبه فى العلم ، وسمت درجته فى الألمعية والفضل — لايستطيع أن يقرأ فى المصحف القراءة الصحيحة السليمة ولوكان المصحف مكتوباً على قواعد الإملاء ، فإن فى قواعد التجويد ، وقوانين الترتيل من الأحكام مالايمكن أخذها من المصحف ولا يمكن تطبيقها إلا بالتلقى ، والأخذ عن العلماء الأثبات الثقات المبرزين فى علوم القرآن ، وفنون التجويد والقراءات . وخذ مثلا لذلك : النون الساكنة والتنوين فقد قرر علماء التجويد أنه يجب إظهارهما إذا لَقِيا حروفاً معينة ، ويجب إدغامهما فى حروف مخصوصة ، ويجب إخفاؤهما عند حروف مخصوصة ولايمكن أحدا تطبيق هذه الأحكام إلا بواسطة أستاذ ماهر مُجيد لعلم التجويد .

ومثلا آخر — قرر علماء التجويد قاطبة أن النون فى كلمة « تأمنا . فى قوله تعالى فى سورة يوسف « قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإناله لناصحون» تقرأ بوجهين لجميع القراء، وهما الروم والإشمام وقد وضعت فى المصحف علامة فوق النون تدل على الإشمام . ولم توضع علامة أخرى تدل على الروم ولا يستطيع قارىء ما أن يتعلم كيفية النطق بالإشمام أو الروم من المصحف أياً كانت كتابته ورسمه ، وليت شعرى هل يستطيع قارئ ما أن يتعلم من المصحف كيف ينطق بفاتحة سورة الأعراف « المص » أو فاتحة سورة مريم « كهيعص» أو فاتحة سورة القصص « طسم » أو فاتحة سورة الشورى « حم عسق »

لعلك توافقني على أن المصحف لايعلم أحدا النطق الصحيح بشيء من ذلك

وقصارى القول أن من يريد تـــلاوة القرآن تلاوة صحيحة سليمة مراعى فيها جودة الترتيل ، وحسن الأداء ، بحيث تكون مطابقة لمقاييس القراءة ، وموازين التلاوة التي وضعها أئمـــــة الأداء وشيوخ الإقراء — من يريد قراءة القرآن — القراءة الموعود عليها بعظيم الأجر وجزيل المثوبة — فعليه ألا يعول على المصحف وحده .

بل عليه أن يتعلم أحكام التجويد النظرية العلمية ثم يطبقها عملياً بقراءة ختمة من أولها إلى آخرها على أحد الحفاظ الثقات الأثبات المهرة بالقرآن الكريم ، المجيدين للتعليم والتلقين والله وحده الهـــادي إلى سواء السبيل .



حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الاسلامية

للعلامة الشيخ
أحمد عبيد
الكبيسي

طبيعة التشريع الاسلامي:

عن الفقه الإسلامي يقول الدكتور « أنريكو انساباتو » في كتابه ـ الاسلام وسياسة الخلفاء : « ولا يجوز قط أن يهدم هذا الصرح العظيم من العلوم الاسلامية ، ولا أن يغفل شأنه ، أو أن تمسه يد بسوء ، وانه أوجد للعالم أرسخ الشرائع ثباتاً ، وانها لشريعة تفوق الشرائع الأوربية في كثير من التفاصيل » .

وهذه الحقيقة التي أدركها انساباتو أدركها العديد من فقهاء الغرب ومشرعيه ، وهي ناتجة عن الطابع العام للشريعة الاسلامية الذى يحدد مقاصدها ، ويوسع مداراتها ، وهو الذي يستلهمه الفقهاء فيما يقررون من أحكام .

وفيما نحن بصدده من الكلام في حقوق الحيوان يتجلى أثر الطابع الجماعي للشريعة الاسلامية في مسألة « الحق » أى مدى ما لصاحبه من سلطان في الانتفاع به واستعماله والتصرف به ، ومايكون من تقييد الشارع له بالا يضر هذا الاستعمال الغير .

وهذا يقوم على قاعدة راسخة ثابتة ، تقرر من أول الأمر : أن الانسان وكل ما يملك ملك لله وحده ، ومن هنا كان تقييد استعمال « الحق » من نواح عديدة ، وقد تولد عن هذا التقييد حقوق للغير ، والحيوان من جملة هذا الغير . في الوقت الذى نجد فيه أن أعرق القوانين الوضعية قد جعلت الفردية طابعها العام . فإن القانون الروماني ـ فى مراحله الأولى ـ مبني على فكرة استبداد صاحب الحق بما يزعمه من حقه الذى يملكه ، والقوانين الوضعية ـ في مجملها ـ تعتبر حق الفرد حقاً طبيعياً له ، فهي تعمل على حمايته له ، وتمكينه من الانتفاع به على مايشاء مادام يتصرف

بزعمه في خالص حقه . وبهذا الاطلاق في استعمال « الحق » ضاعت بعض حقوق الغير ، والحيوان من جملة هذا الغير أيضاً .

أعود إلى موضوعنا فأقول :

في عام ١٨٢٤ تأسست في انجلترا أول جمعية للرفق بالحيوان ، ثم انتشر هذا التقليد بعد ذلك في كثير من أقطار الأرض ، فقامت هنا وهناك جمعيات تهدف إلى الرفق بالحيوان عند المصاحبة ، والاحسان إليه في المعاملة ، والتلطف معه في السلوك .

غير أن هذه الجمعيات جميعاً انما تقوم على أسس أخلاقية صرفة ، وقواعد انسانية عامة ، ليس لها أساس من القواعد التشريعية ، أو القوانين الملزمة ، وليس لها خلفية فقهية تنظم مسائلها ، وتوضح حدودها المتعلقة بحفظ حقوق الحيوان المتعاون مع الانسان في هذه الحياة . ومن هنا بقيت هذه الجمعيات ذات صفة طوعية اختيارية . وهي لذلك لاترتب ثواباً لممتثل ، ولا توجب عقاباً على مخالف . فماذا فعلت الشريعة الإسلامية في هذا الصدد ؟

الرفق مبدأ اسلامي :

يعتمد الإسلام مبدأ الرفق بصورة عامة في جميع شؤون الحياة ، فيجعل منه سمة تميز المؤمن ، وعنصراً يقوي الإيمان ، وفضيلة تزين العمل . وفي ذلك يقول رسول الله من حديث عائشة عن البخاري ومسلم : « انّ الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله » وفي روايـــة لمسلم : « ان الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على سواه» وروى مسلم بسنده عن عائشة : « انّ الرفق لايكون في شيء الاّ زانه ، ولا ينزع من شيء الاّ شانه »

وعن جرير بن عبد الله أن النبي (ص) قال : « ان الله عز وجل ليعطي على الرفق مالا يعطي على الخرق ، واذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق ، مامن أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا الخير » رواه الطبراني ، ورواه مسلم وأبـــو داود مختصراً .

وعن أبي الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الخير ، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وروى عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله قال : « الرفق يمن ، والخرق شؤم » رواه الطبراني في الاوسط .

والأحاديث في ذلك كثيرة متوافرة

سقنا بعضها على سبيل التمثيل لا الحصر. وكلها تنص على أن الرفق مبدأ إسلامي يبني التشريع الاسلامي قواعده وأصوله عليه .

نظرة الاسلام الى الحيوان :

ينظر الاسلام إلى عالم الحيوان اجمالاً نظرة واقعية ترتكز على أهميته في الحياة ونفعه للانسان ، وتعاونه معه في عمارة الكون واستمرار الحياة . ومن هنا كان الحيوان ملء السمع والبصر في كثير من مجالات الفكر والتشريع الاسلامي. ولا أدل على ذلك من أن عدة سور في القرآن الكريم وضع الله لها العناوين من أسماء الحيوان مثل سورة البقرة ، والأنعام ، والنحل ، والنمل ، والعنكبوت ، والفيل .

ويعود القرآن بعد ذلك لينص على تكريم الحيوان ، وبيان مكانته ،وتحديد موقعه إلى جانب الانسان .

فبعد أن بين الله في سورة النحل قدرته في خلق السموات والأرض ، وقدرته في خلق الانسان ، أردف ذلك بقوله « والانعام خلقها لكم فيها دفْ ومنافع ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس ان ربكم لرؤوف رحيم ،والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون »

وقد استنبط الفقهاء والمفسرون من هذه الآيات الأربع من سورة النحل ما يلي :

أولا : ان الحيوان شديد الارتباط بالانسان ، وثيق الصلة به ، قريب الموقع منه ، ومن هنا كان للحيوان على الانسان حرمة وذمام (القرطبي ١٠ — ٦٩) .

ثانياً : ان أشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي — بعد الانسان — سائر الحيوانات لاختصاصها بالقوى الشريفة وهي الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب (الرازى ١٩ — ٢٢٧) .

ثالثاً : ان الله — سبحانه — قصد بهذه الآيات أن يبتعد بالانسان عن أن ينظر إلى الحيوان نظرة ضيقة لا تتعلق إلاّ بالجانب المادى المتعلق بالأكل والنقل واللباس والدفْ ، فوسع نظرته إليه مشيراً إلى أن للحيوان جانباً معنوياً ، وصفات جمالية تقتضي الرفق به في المعاملة ، والاحسان إليه في المصاحبة ، والاقبال عليه بحب واعتزاز ، فقال : « ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون » وقال : « لتركبوها وزينة » قال الرازي (١٩ — ٢٢٨) : واعلم أن وجه التجمل بها ، ان الراعي إذا

روحها بالعشي وسرحها بالغداة تزينت عند تلك الاراحة والتسريح الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء ، وفرحت أربابها ، وعظم وقعهم عند الناس بسبب كونهم مالكين لها » .

وقال القرطبي (١٠ — ٧٠) : « وجمال الانعام والدواب من جمال الخلقة ، وهو مرئي بأبصار موافق للبصائر ، ومن جمالها : كثرتها وقول الناس إذا رأوها : هذه نعم فلان ولأنها إذا راحت توفر حسنها ، وعظم شأنها وتعلقت القلوب بها » .

رابعاً : ان ذكر بعض الحيوانات باسمائها في هذه الآيات لايعني أن غيرها ليس كذلك . بل انه ذكرها على سبيل المثال لا الحصر بدليل قوله : « ويخلق مالا تعلمون » .

ويقول الرازى في تفسير ذلك (١٩ — ٢٣١) : لأن أنواعها واصنافها واقسامها كثيرة خارجة عن الحد والاحصاء فكان أحسن الأحوال ذكرها على سبيل الاجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية » .

ثناء الاسلام على بعض الحيوانات

وقد أناط الاسلام وجوب الاحسان إلى بعض الحيوانات بمنافعها المعنوية وصفاتها الحميدة ، فأوجب الرفق بها لذلك ، ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عبد الله بن عمر ، أنه (ص) قال : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » ووقع في رواية ابن أدريس عن حصين في هذا الحديث من الزيادة قوله (ص) « والابل عزّ لأهلها ، والغنم بركة » أخرجه البرقاني في مستخرجه ، ونبه عليه الحميدي ، ونقله ابن حجر (فتح الباري ٦ — ٣٩٥) .

وروى النسائي عن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله قوله : « لاتسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة . رواه أبو داود أيضاً وابن حبان في صحيحه ، الا أنه قال : « فانه يدعو للصلاة » على مانقله المنذري (٥ — ١٣٣) .

الرفق بالحيوان عبادة لله :

توافرت النصوص على أن الاحسان إلى الحيوان والرفق به عبادة من العبادات التي قد تصل — في بعض الأحيان إلى أعلى درجات الاجر وأقوى أسباب المغفرة ، ومن ذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه الحر ، فوجد بئراً — فنزل فيها فشرب ، ثم خرج ، فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا

الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني ، فنزل البئر فملأ خفه ماء ، ثم أمسكه بفيه حتى رقي ، فسقى الكلب ، فشكر الله له ، فغفر له ، قالوا : يارسول الله ان لنا في البهائم أجراً ؟ فقال : في كل كبد رطبة أجر » رواه مالك ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وابن حبان في صحيحه إلا أنه قال : « فشكر الله له فأدخلـــه الجنة » .

وأخرج مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة بسنده إلى أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان امرأة بغيا رأت كلباً في يوم حار يطيف ببئر قد أدلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها — أي استقت له بخفها — فغفر لها » فقد غفر الله لهذه البغي ذنوبها بسبب ما فعلته من سقي هذا الكلب .

وعن عبد الله بن عمرو أن رجـــلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اني أنزع في حوضي حتى إذا ملأته لأبلي ورد عليّ البعير لغيري فسقيته ، فهل في ذلك من أجر ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان في كل ذات كبد أجرا » رواه أحمد ورواته ثقات مشهورون .

وعن محمود بن الربيع أن سراقة بن جعشم قال : يارسول الله ان الضالة ترد على حوضي فهل لي فيها من أجر ان سقيتها ؟ قال : « أسقها ، فإن في كل ذات كبد حراء أجراً » رواه ابن حبان في صحيحه ، ورواه ابن ماجةوالبيهقي .

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسلمة من حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر . فأما الذي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل الله فأطال في مرج أو روضة فما أصابت في طلبها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ، ولو أنها قطعت طيّلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت أروائها وأثارها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك حسنات له . الحديث ..

الاساءة للحيوان معصية لله :

وبنفس القدر الذى أوصلت بـــه الشريعة الإسلامية بـــه الإحســـان إلى الحيوان والرفق به إلى أعلى درجات العبادة ، أوصلت الاساءة للحيوان وتعذيبه إلى أعمق دركات الإثم والمعصية وفي ذلك يقول رسول اللهصلى الله عليه وسلم على ما أخرجه البخاري ومسلم : « عذبت امرأة في هرة ، لم تطعمها ولم تسقها ، ولم تتركها تأكل منخشاش الأرض » وروى البخاري بسنده إلى

أسماء بنت أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دنت مني النار حتى قلت : أي ربّ وأنا معهم ، فإذا امرأة حسبت انه قال : تخدشها هرة — قال : ما شأن هذه ؟ قالوا : حبستها حتى ماتت جوعاً » قال النووي في شرح هـذا الحديث عن مسلم (٩ — ٨٩) : ان المرأة كانت مسلمة وانها دخلت النار بسببها وهذه المعصية ليست صغيرة بل صارت باصرارها كبيرة » .

وقد حرم الاسلام تعذيب الحيوان ولعن المخالفين على مخالفتهم . فقد روى مسلم بسنده إلى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ على حمار قد وسم في وجهه فقال : « لعن الله الذي وسمه » وفي رواية له : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب في الوجه وعن الوسم في الوجه » . ورواه الطبراني باسناد جيد مختصراً : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من يسم في الوجه » وروى الطبراني أيضاً عن جناده ابن جراد أحد بني غيلان بن جنادة قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بإبل قد وسمتها في أنفها ، فقال رسول الله : « يا جنادة فما وجدت عضوا تسمه الاّ في الوجه أما ان أمامك القصاص » فقال : أمرها إليك يارسول الله .

وعن جابر بن عبد الله قال : مرّ حمار برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كوى وجهه يفور منخراه من دم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعن الله من فعل هذا » ثم نهى عن الكيّ في الوجه والضرب في الوجه » رواه الترمذي مختصراً وصححه . والأحاديث في النهي عن الكي في الوجه كثيرة . وقد حرمت الشريعة الاسلامية تصبير البهائم — أى أن تحبس لترمى حتى تموت — كما حرمت المثلة — وهي قطع أطراف الحيوان — فقد روى عن ابن عمر أنه قال : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أن تصبر بهيمة أو غيرها للقتل » . وأخرج البخاري ومسلم عن المنهال بسنده إلى عبد الله بن عمر أنه قال : « لعن النبي صلى الله عليه وسلم من مثل بالحيوان » قال العسقلاني في شرح صحيح البخاري (٨ — ٢٨٤) : « واللعن من دلائل التحريم كما لايخفى» وقال العقيلي : « جاء في النهي عن صبر البهيمة أحاديث جياد » وقال ابن حجر (فتح البارى ١٢ — ٦٥) : « وفي هذه الأحاديث تحريم تعذيب الحيوان » والتحريم يقضي العقاب ، والعقاب أثر من آثار الجريمة . وهذا يعني : ان الاساءة إلى الحيوان وتعذيبه وعدم الرفق به يعتبر جريمة في نظر الشريعة الإسلامية — وورد النهي عن

خصاء البهائم كما جاء في شرح معاني الاثار للطحاوى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يخصى الابل والبقر والغنم والخيل وإذا دعت الضرورة إلى ذلك في الحيوان الذي يخشى عضاضه ووجد طريق آخر لمنع أذاه من غير طريق الخصاء ، فإنه لا خلاف في منع الخصاء حينئذ ، لأنه تعذيب .

تحريم أنواع من التصرفات مع الحيوان :

من الفنون التي تشيع هنا وهناك مالا تتم إلاّ بتعذيب الحيوان بأغراء بعضه على بعض وتهييجه ، كمصارعة الثيران ، ومصارعة الديكة ، والكباش ونحو ذلك ، أو نصبه غرضاً للرماية والصيد أو قتله بدون فائدة ، ولا منفعة أو ارهاقه بالعمل الشاق وقد اعتبرت الشريعة الإسلامية ذلك من الفعل المحرم الذي يستحق العقوبة . فقد روى عن ابن عباس قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم » رواه أبو داود والترمذي متصلاً ومرسلا عن مجاهد وقال في المرسل : هو أصح.

وروى عن عبد الرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب عن أبيه قال : «كنا مع النبي » صلى الله عليه وسلم في سفر ، فانطلق لحاجته ، فرأينا حمّرة معها فرخان ، فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت تعرش ، فلما جاء رسول الله قال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا ولدها إليها » وعن الشريد قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من قتل عصفورا عبثاً عجّ الى الله يوم القيامة يقول : يارب ان فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعة » رواه النسائي وابن حبان في صحيحه وعن ابن عمر أنه مرّ بفتيان من قريش طيراً أو دجاجة — يترامونها ، وقد جعلوا لصاحب الطير كل خاطئة من من نبلهم ، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا ، فقال ابن عمر : من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً » رواه البخاري ومسلم .

قال الصنعاني في سبل السلام (٤ — ٨٦) بعد أن أورد هذا الحديث بلفظ مسلم : « الحديث نهى عن جعل الحيوان هدفاً يرمى إليه ، والنهي للتحريم لأنه أصله ، ويؤيده قوة حديث « لعن الله من فعل هذا » ووجه حكمة النهي ان فيه ايلاماً للحيوان » .

ومن الرفق بالحيوان تجنب أذيته في بدنه ولطمه على وجهه ، فقد روى عن المقداد بن معد يكرب قال : سمعت

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينهى عن لطم خدود الدواب » وفي صحيح مسلم : ان امرأة كانت على ناقة فنفرت فلعنتها فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر باعراء الناقة مما عليها وإرسالها ، عقوبة لصاحبتها .

تحريم التعسف في استعمال الحق مع الحيوان :

إذا كان الله — سبحانه — قد أجاز للإنسان ان يستعمل حقه في الانتفاع بالحيوان ، فإنه اشترط لذلك ان يتم على الوجه المشروع ، فإن كان فيه شيء من التعسف فقد ورد النهي عنه في نصوص كثيرة ومن ذلك ما يلي : —

أولا : التعسف في استعمال حق الذبح :

لقد جعل الاسلام من حق الانسان أن يذبح الحيوان المأكول للاستمتاع بالطيب من لحمه ، ولكنه أمر بالاحسان في ذبحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » وقد وضع فقهاء الاسلام آداباً لذبح الحيوان المأكول اقتباساً مما جاء في الرفق بالحيوان من أصول فقال أمير المؤمنين عمر : « من الاحسان للذبيحة أن لا تجر الذبيحة إلى من يذبحها » .

وقال ربيعة الرأى : « من الاحسان أن لا تذبح ذبيحة وأخرى تنظر إليها » وقرر الفقهاء أنه على الذابح أن لا يحد شفرته أمام الذبيحة ، وأن لا يصرعها بعنف . فعن ابن عباس أن رجلا أضجع شاة وهو يحد شفرته ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « أتريد أن تميتها موتتين هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها » رواه الطبراني في الكبير والأوسط ، والحاكم واللفظ له ، وقال : صحيح على شرط البخاري . وعن معاوية بن مرة عن أبيه أن رجلا قال : يارسول الله ، انى لأرحم الشاة ان أذبحها ، فقال : « ان رحمتها رحمك الله » رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد .

وعن الوحين بن عطاء قال : ان جزاراً فتح باباً على شاة ليذبحها ، فانفلتت منه فاتبعها ، فأخذ يسحبها برجلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجزار سقها سوقاً رفيقاً » رواه عبد الرزاق في مصنفه . وعن ابن سيرين أن عمر رضي الله عنه رأى رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : «ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً » رواه عبد الرزاق أيضاً .

ثانياً : التعسف في استعمال حق القتل :

أذن الاسلام في قتل الحيوان المؤذي، كالكلب العقور ، والأفعى السام ، والفأر المخرب ، وما أشبه ذلك غير أنه أمر بالاحسان في قتله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الله كتب الاحسان في كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة » والمعروف ان القتل يستعمل للحيوان الذى لا يؤكل على خلاف الذبح الذي يستعمل للحيوان المأكول . وعن ابن مسعود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرأى قرية نمل قد حرقناها فقال : « من حرق هذه ؟» قلنا : نحن قال : « انه لاينبغي أن يعذب بالنار إلاّ رب العالمين » رواه أبو داود وقد أمر رسول الله بقتل « الوزغ » وهو الكبار من أفعى سام أبرص ، الا أنه أمر بالاحسان في قتله وذلك بقتله بضربة واحدة دون تعذيبه بضربات متعددة ، فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل وزغة في أول ضربة فله كذا وكذا حسنة ،ومن قتلها في الضربة الثانية فله كذا وكذا حسنة دون الحسنة الأولى ومن قتلها في الضربة الثالثة فله كذا وكذا حسنة دون الحسنة الثانية » رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي وابن ماجة . وفي رواية لمسلم « من قتل وزغاً في أول ضربة كتبت له مائة حسنة ، وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك » .

وفي حديث سقيا الكلب الذي يلهث قال المفسرون : فيه دلالة على وجوب الاحسان إلى الحيوان المؤذى المأمور بقتله ، فقد أمر الاسلام بقتل الكلب العقور الا أنه أثاب من سقاه من البئر بأعلى درجات الثواب فأدخله الجنة فلا تعارض بين الأمر بقتله والأمر بالإحسان إليه امتثالا لحديث : فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة .

ثالثاً : التعسف في استعمال حق الركوب :

سخر الله الحيوان لنقل الانسان من مكان كما جاء في قوله تعالى : «لتركبوها وزينة » غير ان هذا الحق ليس مطلقاً وانما قيدته الشريعة الإسلامية بقيود ترتكز كلها على أصل الرفق بالحيوان والاحسان إليه ومراعاة حقوقه .

ومن حقوق الحيوان في ذلك : —

١ — أن تتاح له فرصة الرعي والاستراحة في السفر الطويل . فقد أخرج البخارى ومسلم من طرق متعددة بالسند إلى أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم قال : « اذا سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الأرض » قال النووي في شرح هذا الحديث عند مسلم (٨ — ١٢٨) : « ومعنى الحديث الحث على الرفق بالدواب ، ومراعاة مصلحتها ، فان سافروا في الخصب قللوا السير وتركوها ترعى في بعض النهار وفي أثناء السير ، فتأخذ حظها من الأرض بما ترعاه منها » . وقد جاء

في أول هذا الحديث من رواية مالك : « أن الله رفيق يحب الرفق »

٢ ـ ومن حق الدابة المعدة للركوب أن لا يركب عليها ثلاثة في آن واحد . فقد أخرج الطبراني في الأوسط عن جابر قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يركب ثلاثة على دابة » وفي رواية أبي سعيد : « لايركب الدابة فوق اثنين » واخرج ابن أبي شيبة من مرسل زاذان : أنه رأى ثلاثة على بغل ، فقال : « لينزل أحدكم ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الثالث » وأخرج الطبراني عن علي ، قال : « إذا رأيتم ثلاثة على دابةفأرجموهم حتى ينزل أحدهم » وقد حمل الفقهاء هذه النصوص على ما إذا كانت الدابة غير مطيقة للثلاثة ، فإن أطاقتهم جاز . قال ابن حجر في فتح البارى (١٢ ـ ٥٢٠) : « يحمل ما ورد في الزجر من ذلك على ما إذا كانت الدابة غير مطيقة كالحمار مثلا ، وعكسه على عكسه كالناقة والبغلة » .

وقال النووي في شرح مسلم (٩ ـ ١٣٥) : « مذهبنا ومذهب العلماء كافة جواز ركوب ثلاثة على دابة إذا كانت مطيقة » وحكى القاضي عياض منعه عن بعضهم مطلقاً . وقال ابن حجر : « لم يصرح أحد بالجواز مع العجز » .

٣ ـ ومن المحرم في الشريعة الإسلامية : وقوف الراكب على الدابة وقوفاً يؤلمها ، فقد ورد في سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اياكم أن تتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فإن الله انما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاّ بشق الأنفس » .

٤ ـ ولا يجوز الركوب على مالم يخلق للركوب كالبقرة ، قال القاضي أبو بكر بن العربي : « لا خلاف في أن البقر لا يجوز أن يحمل عليها ، وذهب كثير من أهل العلم إلى المنع من ركوبها نظراً إلى أنها لاتقوى على الركوب ، انما ينتفع بها فيما تطيقه من نحو إثارة الأرض وسقي الحرث » .

٥ ـ ولا يجوز أن يكون مقود الدابة ضاراً بها . فقد ورد في الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر الاّ قطعت » فذهب بعض أهل العلم في فهم الحديث مذهب الرحمةبالحيوان وقال : انه أمر بقطع القلائد من أعناق الدواب مخافة إختناق الدابة بها عند شدة الركض لأنها تضيق عليها نفسها ، وكراهة أن تتعلق بشجرة فتخنقها أو تعوقها عن المضي في سيرها .

رابعاً : التعسف في استعمال حق التحميل :

وحرمت الشريعة الإسلامية الاساءة إلى الحيوان بتحميله من الاثقال مالا يطيق ، وكان الصحابة الكرام يعرفون ان من حمل دابة مالا تطيق حوسب على ذلك يوم القيامة . فقد روى عن أبي الدرداء أنه قال لبعير له عند الموت يا أيها البعير لا تخاصمني عند ربك ، فإني لم أكن احملك فوق طاقتك » . وعن عبدالله ابن جعفر قال : أردفني رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه ذات يوم .. فدخل حائطاً – أي بستانا – لرجل من الأنصار فإذا فيه جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حن ّ وذرفت عيناه ، فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت ، فقال : « من ربّ هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ » فجاء فتى من الأنصار ، فقال : لي يارسول الله ، فقال : « أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله اياها ، فانه شكى إليّ أنك تجيعه وتدئبه » أى تعمل عليه عملا متواصلا ، رواه أحمد وأبو داود . وروى أحمد أيضاً من حديث طويل عن يحيى بن مرة قال فيه : وكنت معه – أي مع النبي – جالساً ذات يوم ، إذْ جاء جمل يخب حتى ضرب بجرانه بين يديه ، فقال : « ويحك تنظر لمن هذا الجمل ؟ ان له لشأنا » قال فخرجت التمس صاحبه ، فوجدته لرجل من الأنصار ، فدعوته إليه ، فقال : « مـــا شأن جملك هذا » فقال وما شأنه ؟ لا أدرى والله ما شأنه ؟ عملنا عليه ، ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية ، فأئتمرنا البارحة أن ننحره ونقسم لحمه ، قال : « فلا تفعل ، هبه لي أو بعنيه » وعن سهل بن الحنظلية قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لصق ظهره ببطنه فقال : « اتقوا لله فى هذه البهائم فاركبوها صالحة .. » رواه أبو داود وابن خزيمة ، الا ّ أنه قال : « قد لحق ظهره » . واذا كانت الشريعة قد حرمت ركوب مالم يخلق للركوب من الحيوان ، فقد حرمت أيضاً ان يحمل على مالم يخلق للحمل منه كالبقر مثلا . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت اني لم أخلق لهذا ولكني انمـــا خلقت للحرث » قال القرطبي في الجامع (١٠ – ٧٢) معقباً : « فدل هذا الحديث على أن البقرة لايحمل عليهـــا ولا تركب » ويقول أيضاً – فـــي تفسير قوله تعالى : « وتحمل أثقالكم » : « في هذه الآية دليل على جواز السفر

بالدواب وحمل الاثقال عليها ، ولكن على قدر ما تحتمله من غير اسراف في الحمل مع الرفق في السير » .

وروى أبو داود بسنده إلى المسيب بن آدم قال : رأيت عمر بن الخطـاب رضي الله عنـه – يضرب جمّالا وقال تحمل على بعيرك مالا يطيق ؟ » .

أحكام فقهية تحدد حقوق الحيوان

كتب الفقه الإسلامي طافحةبالاحكام المتعلقة بالحفاظ على حقوق الحيوان وهي كثيرة لايتسع المجال لذكرهـا في هذه المقالة الموجزة . ومن ذلك ما قرره الفقهاء من وجوب القيام على سقي الدابة واطعامها ، وإذا قصر مالك الحيوان في ذلك أجبره القضاء عليه ، فإن لم يقم للدابة بما يجب عليه من حسن تغذيتها وسقيها : باعها القاضي ولم يتركها تحت يد صاحبها تقاسي .

ويقول القاضي أبو يعلى في كتابه (الاحكام السلطانية ص ٣٠٥) وإذا كان في أرباب المواشي من يستعملها فيما لا تطيق الدوام عليه أنكره المحتسب عليه ، ومنعه منه وان لم يكن فيـه مستعد – أي مخاصم – إليه ، فان ادعى المالك احتمال الدابة لما يستعملها فيـه جاز للمحتسب أن يفكر فيه ، لأنـه وان افتقر إلى إجتهاد فهو عرفي يرجع فيه إلى عرف الناس وعادتهم وليس باجتهاد شرعي » وفي الفتاوي البزازية (٦ – ٣٧٠) مانصه : « المختار ان النملة إذا ابتدأت بالأذى لا بأس بقتلها والا يكره ، والقاؤها في الماء يكره مطلقاً » لأنه تعذيب لا مبرر له . « وقتل القملة لا يكره ، واحراقها واحراق العقرب بالنار يكره » والهرة إذا كانت مؤذية

لا تضرب ولا تعرك أذنها بل تذبح بسكين حاد . ويقول النويري في نهاية الأرب (٩ – ٢٥٨) : « وسمعوا بعض المفسرين يقول في قوله – عز وجل – : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ان المحروم هو : الكلب » وقال الصنعاني في سبل السلام (١ – ٢٣٢) بعد حديث المرأة التي دخلت النار في هرة حبستها : « والحديث دليل على تحريم قتل الهرة لأنه لاعذاب الا على فعل محرم » ومثل هذه الأحكام في كتب الفقه الاسلامي لا حصر لها .

هذا وقد بلغ المسلمون في الرفق بالحيوان حداً يكاد يكون متطرفاً ، حتى أن عدي بن حاتم كان يفت الخبز للنمل ويقول : انهن جارات ولهن حق ، كما رواه النووي في تهذيب الأسماء . وكان الامام أبو اسحاق الشيرازي يمشي في طريق يرافقه فيه

بعض أصحابه ، فعرض لهما كلب فزجره رفيق الامام أبي اسحاق فنهاه الامام وقال : أما علمت أن الطريق بيني وبينه مشترك . وامثال ذلك في تراثنا كثير . وكان الدافع إلى كل ذلك هو الرغبة الشديدة في تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية نصاً وروحاً .

وأخيراً نقول : ان شريعة فيها من ضمان حقوق الحيوان ماذكرنا بعضه القليل ، ماذا يمكن أن تشرع للانسان من حقوق ؟



مهمة المسجد في بناء المجتمع الإسلامي

بحث قدمته الجامعة الاسلامية الى مؤتمر رسالة الجامعة بمكة المكرمة .

لفضيلة الشيخ محمد المجذوب
المدرس بكلية الدعوة بالجامعة

في رأس الحقائق البديهية أن عبادة الله هي المهمة الأولى للثقلين الجن والانس ويؤكد ذلك قوله تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فهاهنا قصر الخلق على صفة العبادة وحدها ، فكأنه لا غرض من وجود الجن والانس سوى عبادة الخالق وحده وبذلك يصبح مفهوم العبادة أوسع مدى من الشعائر الخاصة كالصلاة والصوم والزكاة والحج وما إليها مما يدخل بداهة في هذا النطاق ، حتى يتناول كل تحرك يأتيه الانسان في حياته ، فلا يستثنى من ذلك طعامه وشرابه ومختلف تصرفاته ، اذ المفروض أن هذا الانسان على وعي تام لسلطان الخالق ومراده من خلقه ، فلا يأتي شيئاً أو يذر شيئاً الا وفق الأفضل والأرضى له .. ومتى استوفى الانسان هذه الصفة كان عبداً ربانياً ، وكان كل تحرك له عبادةً لله خالصة .

ولقد تكاملت هذه الخصائص العليا في شخص محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رسالته الخاتمة ، فكانت الأرض كلها له مسجدا وطهورا وكان كل عمله من ثم تحقيقاً لفضيلة العبودية الخالصة لله القائم على كل نفس بما كسبت ..

والاسلام متتام الأجزاء ، أول أركانه بعد شهادة الحق الصلاة ، التي عدها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمود الدين ، وكما تنهض على العمود عوالى البناء ، هكذا كانت الصلاة الصحيحة منطلق البواعث المحركة لطاقة الفرد في طريق الحياة السعيدة ، تسكب روحها في كل تصرفاته .. ومن هنا كان للمسجد أثره العظيم في تكوين المجتمع الإسلامي الأمثل ، ولهذا السبب رأينا أول عمل يقوم به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد استقراره في المدينة هو تأسيس مسجد قباء ، ثم انشاء مسجده المبارك ، الذي شارك بنفسه في بنائه مع صحابته الأكرمين .

طالع قرارات وتوصيات المؤتمر في هذا العدد

من هذا المسجد المبارك تفجرت ينابيع العلم والهدى وأصول الحضارة المثلى ، التي ما لبثت أن عمت العالم فغيرت معالمه ،وشقت له الطريق إلى تاريخ لاعهد له بمثله من قبل .

وأدرك الرعيل الأول عظم الأمانة ، فتزود لها بكل ما وسعه من معانى الوحي حتى كان الواحد منهم يغشى سوق المدينة ، فيخشى أن يشغل المسلمون بصفقاتها عن ذلك الخير الأكبر ، فيُهيب بهم : أن هلم إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشاركوا فى ميراثه الذي يتقاسمه الناس هناك (١) ... وما ميراث النبوة سوى العلم الذى به سيشقون الأعين الكمه ، ويفتحون القلوب الغلف ..

لقد بدأ هذا المسجد مهامه فى تنظيم المجتمع من أول يوم ، فكان أشبه بمحطة الكهرباء ، تمتد أسلاكها إلى كل ناحية ، فتضيء وتحرك وتزود الجميع بكل نافع ..

فى هذا المسجد تلتقي الجماعة المؤمنة للصلوات الخمس خلف امامها الأعظم صلى الله عليه وسلم فتتعلم منه كيف تؤديها بالخشوع الذى يُحقق أهدافها العليا ، وفيه تنتظم حول هاديها لتتلقى منه تعاليم السماء ، التي تدربها على تنظيم مسيرتها فى الطريق اللاحب الذى لا يعترى سالكه ضلال ، وإلى هذا المسجد تهرع الجماعة المؤمنة كلما دعاها امامها إلى (صلاة جامعة) تطرح فى أعقابها المشكلة أو المشكلات الطوارئ ، ليشاركوا فى معالجتها بما أوتوا من خبرة واخلاص لدينهم ولمصلحة مجتمعهم فيكتسبوا بذلك الدربة التي تعوزهم لضبط سلوكهم فى نطاق الخير العام ، ومن ثم لقيادة الأمم التي سيستخلفهم الله على اصلاحها وتوجيهها فى قابل الأيام .

من هذه الأصول الأولى تعرف المسلمون أهمية المسجد فى حياتهم فكان لهم على مر الدهر المعبد الذى فيه يجتمعون لاقامة الصلاة ، والمدرسة التي يتلقون فيها علم الدنيا والآخرة ، والندوة التي يبحثون فى ظلها معضلاتهم اليومية والاسبوعية ، والمركز الذى يتدربون فيه على تطبيق معاني الاسلام في سلوكهم الفردى والاجتماعي والسياسي والملاذ الآمن الذى يعمق بينهم روابط الأخوة ، ويفتت الفوارق التي يحدثها اختلاف المنازل الاجتماعية بين الناس فيعودون كما يريد لهم الاسلام خير أمة أُخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله ، أمة تجمعها

---

(١) مضمون حديث حسن عن أبيهريرة رضى الله عنه .

أخوة الايمان ، ويتساوى فيها الأفراد فى حق الكرامة والعدالة والحياة ، فلا يستكبر فيها قوي على ضعيف ، ولا يذل ضعيفها لقوى ، لأن كلهم أذلــة للمؤمنين أعزة على الكافرين ...

جامعات شعبية :

وهكذا أخذ المسجد سبيله فى ضبط المسيرة الإسلامية ، حتى لقد كانت المساجد الجامعة فى صدر الإسلام تؤدى بجانب رسالتها الدينية عدة مهام ، فمن على منابرها تذاع أوامر الدولة وجيهاتها وفيها تنعقد مجالس القضاء للحكم بين الناس .

(وقد شاهد ناصر خسرو فى جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه محررى الصكوك والعقود ، كما رأى فيه مجلس قاضي القضاة ويقول إنه : كان فــى الزيادة الغربية من المسجد ، كما كان فيها مجلس قاضى الحكم الشافعي ، ومجلس القاضي المالكي ...)

وكذلك عاين ابن رستة ، وهو من رجال القرن الثالث الهجري ، بيت المال الخاص بحفظ أموال اليتامى فى هذا المسجد نفسه ، ووصفه بأنه كان أمام المنبر ، وأنه شبه قبة عليها أبواب من حديد ، ثم نقل إلى صحن المسجد . وحتى اليوم لايزال البناء الخاص ببيت المال قائماً فى الجامع الاموي بدمشق ، وفى الجامع الكبير بمدينة حماة وإن هو قد خلا من كل مال ...

أما الجانب التعليمي من حياة المسجد فلا يزال من أبرز مقوماته بعد الصلاة ، على الرغم من كل العوائق التي اعترضت طريق الاسلام ، وبخاصة فى أيامنا هذه. وقلما ترى مسجدا فى قرية أو مدينة لا يقوم فيه مدرس أو مدرسون ، أو مقرئون يعلمون صغار المسلمين كتاب الله حتى الساعة .

انها بقية من ماض مجيد ، كان المسجد فيه يتخذ صفة الجامعة الشعبية مفتحــة الأبواب لكل راغب فى المعرفة ، لا تقيده بدوام ، ولا تفرض عليه مادة دون أخرى ، بل تفتح لمواهبه سبيل الانتخاب الطبيعي ، فينتقل من حلقة إلى أخرى ، حتى يستقر فى الاتجــاه الذى يتلاءم مع استعداده ، وبهذه الطريقة أتيح للمسجد أن يخرج أكبر العباقرة الذين تسنموا مقاعد الامامة فى الدنيــا والدين ..

ولقد زاحمت المدارس والجامعات النظامية مدرسي المساجد منذ مطلــع العصر العباسي ، ولكن المسجد لم يتخل عن مهمته لها ، بل جعل يضاعف من نشاطه بإزاء ماواجه المسلمين من البدع والفتن والمذاهب التي أحدثتها الفلسفات الوثنية

فكان كطوف النجاة وسط الخضم الهائج ، يفند الباطل ، ويدعم الحق ، ويعلى رايته فوق كل راية ..

ولعل عهود المماليك كانت أحفل عهود الاسلام بالنشاط المسجدى فى الشام ومصر ، اذ أقبلوا يتنافسون على عمران المساجد ، والتفنن فى رعايتها وتقويتها . فكان لكل مسجد جامع ملحقاته من الحجرات والمكتبات ، يأوي إليها أهل العلم من طلبة وأساتذة فتجرى عليهم المساعدات السخية الثابتة لتوفر لهم العيش الكريم ، فلا ينصرفوا عن العلم إلى البحث عن الخبز .

وما كاد المسجد يفقد بعض مميزاته في عهود الدول المتتابعة ، حتى أطل بوجهه الجديد من عاصمة الخلافة العثمانية ، يحيي ما اندرس أو كاد يندرس من نشاطه المبارك فى خدمة المجتمع المسلم .

يصف أحد المستشرقين اثنين من مساجد العاصمة فيقول : (فى عهد العظمة التركية كان المسجد مركزاً اجتماعياً . فمسجد محمد الفاتح مثلا كان على جانبيه كليات وفندق ومستشفى ومركز لتوزيع الطعام ، وعلى رابية أخرى كان يربض أوسع المساجد اطلاقاً وهو مسجد سليمان القانوني ، الذي كان حوله عشر مؤسسات منها كليات أربع ، والمدرسة لم تكن خاصة بالدين ، بل كانت وحدة للسكن ، وكان المسجد نفسه قاعة للدرس والمحاضرات وكان بوسعك أن ترى لعهد قريب أساتذة فى صحن المسجد خلال الصيف ، وفى المسجد نفسه اثناء الشتاء ، يدرسون جماعات صغيرة من الطلاب) .

بين أمس واليوم :

أجل ... إن المسجد لم يفقد حتى اليوم تأثيره فى حياة المسلمين فهو لايزال قائماً لاستقبال المصلين ، ولا يخلو فى كثير من الأحيان والبلدان من مكتبة صغيرة تمد المسجد بنسخ من كتاب الله للتبرك ببعض التلاوة ، وقد تحتوي بعض الكتب الاسلامية الأخرى تبرع بها بعض المحسنين دون تفريق بين النافع منها وغير النافع .

على أن قليلاً من التأمل فى أوضاعها على ضوء الغاية العليا التي من أجلها وجد المسجد فى الاسلام يؤكد لناأن ثمة فجوة هائلة تفصل بين مسجد اليوم ومسجد الأمس .. لا من حيث بناؤه وشكله وأثاثه ، فقد توافر لمسجد اليوم من ذلك الشيء الكثير ، ولكن من حيث الروح الذي يجب أن يهيمن على واقعه فيجعل منه منطلق حياة وتكوين وتوجيه .

لقد جرد المسجد الحديث من الطاقات التي تمكنه من العمل فى بناء الفكر والقلب وتصحيح المفهومات الخاطئة . فقلما تجد على منبره الخطيب المزود بسلاح العلم الواسع وإذا وجد فقلما تجد لديه الاخلاص الذي يجعل الحق أعلى وأغلى في قلبه من الحياة – الا من رحم الله –

لقد سيطر الرعب على خطيب المسجد ومدرسه وضاقت فى أعينهما سبل الرزق ، فلا يريان سبيلا للوصول إليه الا بارضاء المتسلطين على مرافق الحياة ، ممن لا يقيم وزنا لدين الله ولا يعرف حقاً لشريعة الله .. ويكاد أن يكون هذا هو واقع المسجد فى معظم ديار المسلمين ، الا من رحم الله ..

ولا عجب فى ذلك مادام المسلمون فى تلك الأقطار محكومين بغير نظام الإسلام ، فكل محاولة لتوعية المصلين ، وتزويدهم بحقائق دينهم ستصطدم برغبات المخالفين لها من أصحاب السلطان وأعوانهم ، ممن باعوا أنفسهم للشيطان بأبخس الأثمان ..

فكيف إذا أخذنا بعين الاعتبار نوعية الخطباء والمدرسين الذين يقع اختيار أولئك المتسلطين عليهم ، حيث يكونون من المرتزقة الذين لايهمهم الا منافعهم العابرة ، فلا يتورعون عن أن يجعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً ، والظالم عادلا والصالح باغيا ..

التطور المدمر :

ان الإسلام فى توكيده على عمران المساجد انما يستهدف من ذلك توفير وسائل التوعية الدائمة التي لا مندوحة عنها لاقامة المجتمع الصالح .. المجتمع الذي يعرف كل فرد منه ماله وما عليه ذلك لأن الجماعة المسلمة هي المادة التي منها تتكون دولة الاسلام ، وهي القاعدة التي عليها ترتكز ، وإذا كانت وظيفة المجتمع المسلم – شعباً ودولة – هي تبليغ رسالة الله وإقامة الحكم الأفضل فطبيعي أن يجد هذا المجتمع من الرعاية والحرية ما يمكنه من تحقيق واجبه فى الاستعداد للنهوض بأعباء هذه الرسالة فى نفسه أولا ، ثم فى أوساط الشعوب الأخرى ثانياً ..

ولا شئ أفعل فى تحقيق هذه المعاني فى قلب المسلم من كلمة الحق يسمعها فى بيوت الله مؤيدة بآيات الوحي من كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ولاأدل على ذلك من توكيد الشريعة على حضور الجماعة فى صلوات النهار الخمس وظهيرة الجمعة ، وايجاب صلاة العيدين على كل مكلف من ذكر وأنثى ، حتى الحيض والعواتق كيلا تفوتهم المشاركة

في شهود الخير ، والتفاعل مع روحانية الجماعة ، لتستمر للفرد صلته الوثقى بأمته وملته ، فتظل الأفكار متقاربة ، والأذواق متناغمة ، فلا يجد الشيطان مجالا للتسلل إلى وحدة الصفوف ..

تلك هي رسالة المسجد فى أوضح صورها ، وحين تؤدى هذه الرسالة على الوجه الصحيح ، لن يتعرض المجتمع الاسلامي لمثل هذه الهزات التي تهب عليه من كل صوب ، حاملة إلى أجياله جراثيم التشكيك والتخريب تحت مختلف الأسماء والعنوانات ...

ولكن المسجد أوشك أن يفقد سلطانه على النفوس بعد هذه التطورات التي سلخته من معظم مقوماته ، وسلطت عليه حتى من لا يؤمن برسالته ، فهو اليوم فى جل ديار المسلمين أداة شلاء لا يكاد يؤدى أي وظيفة اجتماعية هادفة ، بل لا نغالى إذا قلنا انه ، بما يعتوره من المعوقات المختلفة ، لايزيد الواقع الاجتماعي إلا بلبلة واضطرابا

لنبدأ من هنا :

على ضوء هذه الأحداث وجدتني وأنا أهم بكتابة هذا البحث ، أتساءل : ما الحصيلة التي سيرجع بها المجتمعون فى هذا المؤتمر إلى بلادهم ؟؟ ... وإلى أي مدى يمكنهم أن يضعوا مقرراتهم في حيز التنفيذ ؟ ...

لقد تكررت المؤتمرات التي عقدت لعرض أحوال المسلمين ، ولدراسة أوضاعهم على مختلف المستويات ، وإن في مقرراتها الكثير من العلم والخير ... غير أني أتطلع فى كل اتجاه لأرى آثارها العملية فلا أكاد ألمح شيئاً ... ولا جرم أن اجتماعاً يعقد لتصحيح أوضاع المسجد والمسجديين جدير بكل تقدير واهتمام ، إذا كان من شأنه تغيير هذا الواقع الذى انتهى إليه المسجد وأهله .. ولكن ما السبيل إلى ذلك وهو الذى لا سبيل إليه إلا عن طريق الذين لا يريدون هذا التغيير ...

فى اعتقادي أن أعظم خدمة نقدمها لاحياء رسالة المسجد هو أن نبدأ هذا التصحيح فى مساجد هذه المملكة أولا .. فإذا نجحت المحاولة هنا كانت الخطوة التالية اقناع الأقطار الاسلامية الأخرى بنقل هذه التجربة إلى مساجدها .

ان المملكة السعودية هى البيئة الإسلامية المتميزة ، فقضاؤها اسلامي صرف ، وتعليمها لايزال مرتبطاً بأهداف الاسلام ، ونشاطها الاسلامي لايكاد يفوته جانب من أرض المسلمين ، وفى امكاناتها المادية ولله الحمد ضمان لإنجاح أي مشروع إسلامي من هذا النوع . . فلتكن هى المنطلق الأول

لتحقيق الأنموذج الأفضل الذي تتطلع إليه أبصار المصلحين وبصائرهم ...

لقد كتب الكاتبون ، وألف المؤلفون وخطب المحاضرون ، وتغنى الشعراء الاسلاميون بعظمات الاسلام وامكاناته العجيبة لاصلاح الانسان ، وبناءالأوطان وإقامة الحكم الصالح واعطاء البشرية أفضل الأنظمة فى السياسة والاقتصاد والعدالة ... ولكن شيئاً من ذلك لم يترجم إلى نطاق العمل المنظور خارج هذه البلاد حتى الآن لذلك ستظل هذه الكنوز حديثاً ماتعاً يسلي القارئ والسامع ، على حين أن المسلمين ، ومن ورائهم العالم كله يظلون أحوج مايكونون إلى رؤية هذه الكنوز بارزة فى متناول الأيدي والأبصار . فمتى يتاح لهذه الحقائق الإسلامية أن تحتل مكانها فى عالم الواقع ، ليقتنع العالم أن لدينا ما نقدمه لانقاذه من مهامه الضياع ! ..

ان الضمير الانساني يطالب المسلمين بإقامة انموذج صحيح للمجتمع الذي يستطيع الاسلام أن يبنيه بامكاناته الخاصة وحدها ، فيكون مجتمعاً ربانياً يحكمه نظام الاسلام فى كل شئ ، دون أن يسمح للتيارات الدخيلة بأى تأثير فى خصائصه العليا ، حتى يكون حجة الاسلام على العالم ، الذي مزقتهالتجارب البشرية المقطوعة عن طريق الوحي ..

ومالم يتفق المسلمون على هذه الحقيقة ومالم يتقدم من الشعوب الاسلامية من يحقق هذا الانموذج ، فسيظل كماخض الماء ، لا يتجاوز حدود الأحلام .

المسجد الذي نريده :

أما المسجد الانموذج الذى تتطلع إليه أبصار المفكرين فهو الذي توافرت فيه كل الوسائل المساعدة على استعادة منزلته وتحقيق رسالته التي انشئ لها من أول يوم أول مسجد أسس على التقوى .

ولن يكون المسجد كذلك إذاقصرنا العناية فيه على الشكل دون المضمون .. أو على المضمون دون الشكل .

ان الذي قدح فكرة اصلاح المسجد فى قلوب المصلحين هو شعورهم بحاجة المجتمع العميقة إلى مؤثرات هذه المؤسسة الإسلامية الهامة . ولابد فى تحقيق هذه الغاية من مراعاة التطور الاجتماعي الذي تعيشه الانسانية فى كل مكان وزمان . ومن موحيات ذلك التطور أن يكون المسجد وحدة اجتماعية متكاملة ، تؤمن لمرتاديها كل متطلباتهم الروحية والعقلية وحين نفعل ذلك لن نبتعد كثيراً عن أوضاع هذه المؤسسات فى ظل الخلافة العثمانية أو عهد المماليك مثلا . ذلك لأن أولئك الذين انشئوا تلك المساجد ، وأحاطوها بالمرافق الاجتماعية المختلفة ،

إنما صنعوا ذلك بحافز من الوعي التام لرسالة المسجد فى نطاق الحاجات الاجتماعية الطارئة ..

وعلى هذا فالمسجد الذى يراد أن تتمثل فيه الوحدة الاجتماعية المتكاملة هو الذي يجد فيه المصلون ، على اختلاف مستوياتهم ، كل الفرص التي يستطيع توفيرها ناد مزود بكل المرغبات الصالحة ...

ان قاعة الصلاة جزء من هذه الوحدة يفئ إليها روادها كلما دعا إليها الداعي فى أوقاتها الخمسة ، ثم مكتبة عامرة بأفضل المؤلفات الاسلامية فى شتى العلوم والفنون ، على أن يعنى فيها باختيار الطبعات الرائعة من كتاب الله ، فلا تقع فيها العين ولا اليد على تلك المصاحف التجارية ، التي طُبعت أردأ طبع ، وجلّدَتْ أسوأ تجليد ، فلا يتكرر لمسها حتى تتفتت ، وتتحول إلى ركام من الأوراق الممزقة .

ثم تلحق بهاتين القاعتين ثالثةللجلوس يجتمع فيها أهل الفكر من أبناء المحلة أو زوار الوحدة حيث يتداول الرأي فى أمورها وأحوال روادها ، وما ينبغي عمله لاستمرار تقدمها وازدهارها على أن تكون من السعة بحيث تصلح لالقاء المحاضرات ، واقامة الندوات الفكرية تحت اشراف المسئول عن الوحدة .

وسيكون من الاحياء للسنة اجراء عقود النكاح فى هذه القاعة ، ليحضرها رواد المسجد والمكتبة والمجاورون ، فيكون ذلك مدعاة لتقوية الروابط بين أهل المحلة ، وأفضل وسيلة لمكافحة السرف الذي اعتاد الناس أن يتنافسوا به فى مثل هذه المناسبات .

ولن ننشد المستحيل عندما نتمنى أن تكتمل هذه الوحدة بإضافة مستوصف يتناسب مع حاجة البيئة ، يقوم عليه طبيب أو أطباء ، بصورة ثابتة أو بالتناوب بين أطباء يخصصون بعض وقتهم لخدمة المترددين على هذا المستوصف على أن تصرف لهم الأدوية الاولية من الصيدلية الملحقة به ..

ان مركزاً إسلامياً كهذا من شأنه أن يقدم لبيئته أجل الخدمات ، ويهب للاسلام أفضل نماذج الدعاية ، التي تعرِّف الناس قدراً غير قليل من جمال هذا الدين ، الذي يهدي للتي هى أقوم ، ويهيب بالمؤمنين أن يتعاونوا — دائماً وأبداً — على البر والتقوى .

على أن كل مجهود يبذل لتوفير هذه المصالح سيظل أبتر معرضاً للخلل فالزوال ، إذا لم توجه مثل هذه العناية إلى نوعية الرجال الذين سيشرفون عليها .

ولهذا نرى أن أول الشروط التي على أساسها يختارون هو الكفاية الخلقية ثم

الكفاية العلمية . فما ينبغي لغير مؤمن بهذا الدين أن يعهد إليه بالاشراف على المسجد وملحقاته ، ولا يصح أن يوسد أمرها إلى خبير عليم اللسان فاسد الجنان لأنه واحد من زمرة الشياطين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون . كما أنه سيكون من الجناية على المشروع أن يعين لها الدراويش من ذوي التقــوى، الذين لا يملكون نصيباً وافياً من العلم العاصم ، لأن تولية أي من هؤلاء سيكون نذيرا بدماره حسب منطوق الحديث الصحيح : « إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » وقد فهم أولو العلم أن المراد بالساعة هناساعةخراب الأمر .

ان المسجد الجديد لايصلح الا بما صلحت به أوليات المساجد التي أسست على تقوى من الله ، وفي رأس ذلك الجمع بين العلم والايمان ، ولا سبيل إلى ذلك إلا باصلاح أوضاع المشرفين الأعلين على مصاير المساجد في بلاد المسلمين ، فلا يرفع إلى تلك المناصب من لاخشية عنده لله ، ولا غيرة على حرمات الاسلام . واني لأكتب هذه الكلمة وفي رأسي ذكرى يوم رافقت فيه أحد مديري الأوقاف في بلد مسلم إلى أحد المساجد التاريخية ، وهنــاك أدركتنا صلاة العصر فإذا هو يستعجل نفراقنا لأنه لايريد الصلاة — أو لا يعلم كيف يصلي — وما أكثر هؤلاء في معظم ديار المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

نعم .. لابد من التركيز على نوعية الخطيب والمدرس والامام والمشرف العام فكم من إمام لا يحسن اقامة الآية من كتاب الله ، وكم من خطيب لايصلح إلا للتنفير من دين الله ، وكم من مدرس يعلم الناس الخير ، وهو غارق بالفساد إلى صماخيه ....

لقد آن للمسئولين عن رعاية المساجد أن يحسنوا لها الاختيار ، فلا يقل مؤهل الامام والخطيب عن الشهادة الثانوية الشرعية في أوساط القرى والبوادي ، وأما في المدن والحواضر فلا يصل إلى هذه الأعمال امرؤ يقل مؤهله الدراسي عن مستوى الإجازة من إحدى الكليات الإسلامية وذلك بعد الاستيثاق الكامل من مؤهله الخلقي . على أن هذا يقتضي أن يوفر للعاملين في خدمة المسجد كل ما يؤمن لهم الحياة الكريمة . وقد درج بعض المحسنين أن يلحقوا بالمسجد منزلاً خاصاً للامام والخطيب ، وانها لسنــة حسنة يجدر بالمؤتمر الاّ يغفلها .

وإذا كان هذا صحيحاً بالنسبة إلى كل مسجد في أي مكان ، فهو أحق بالتحقيق في المسجد الانموذج ، الذي يراد له أن يكون مناراً للهداية ،ومنطلقاً

للدعوة إلى دين الله بين مختلف عباد الله .

المراكز الإسلامية :

وبحث كهذا فى شأن المسجد لا يستكمل عناصره مالم نلق من خلاله نظرة إلى مايسمى اليوم بالمراكز الإسلامية المنشآت خارج أقطار المسلمين ...

ان لبعض هذه المراكز نشاطاًملحوظاً في خدمة المسلمين وفي الدعوة إلى الاسلام وقد حقق هذا البعض بفضل الله غير قليل من النجاح فى أوساط الجاليات الإسلامية ، وطلاب الحق والخير من غيرها ...

بيد أن الملاحظ أن أكثر هذه المراكز نجاحاً فى خدمة الإسلام هي التي يقوم على خدمتها عناصر حرة من الشباب المؤمن ، الذي لا تقيده وظيفة رسمية .. ففي ظل هؤلاء الأحرار يُحسن عرض الإسلام لجاهليه من الأجانب ، وتنظم برامج تعليم لصغار المسلمين ، ممن لا يتاح لهم معرفة شيء من دينهم ، إلا عن طريق هؤلاء المتطوعة ..

هذا على حين نرى المراكز الأخرى التي تتولى أمرها قيادات رسمية لايهمها من أمرها الا تحقيق الدعاية السياسية التي تفرضها الدولة .. ومن هنا رأينا مراكز تنفق عليها الأموال الطائلة ، ثم لا مردود لها سوى زيادة البلبلة فى أوساط الجاليات الإسلامية ..

ولقد حدثني زميل فاضل تولى إمامة أحد هذه المراكز من قبل هيئة خاضعة للحكومة فلم يستطع أن يحقق فيه أي مهمة إسلامية ، بل لم يستطع حمايته من المفاسد التي ينكرها أهل الايمان ، لأن الذي عهد إليه بادارته كان أبعد الناس عن فضائل الإسلام . حتى انه ليفطر رمضان دون عذر ، ويأتي من المنكرات مالا يكتمه زميلي الفاضل لو سئل عنه ..

وقد شكا أمره إلى المسئول الأعلى فلم يجد أي مردود سوى التهديد والوعيد ...

وهكذا تذهب آمال المسلمين ببعض هذه المراكز مع الريح .. ولا جرم أن اخفاق أى مركز اسلامي فى الغرب يجر معه اخفاقاً أكبر للدعوة الاسلامية ، إذ يكون سبباً لتشويه الإسلام ، وصرف الراغبين عنه إلى البحث عن علاج حيرتهم فى غيره ....

طموح مشكور يرجى تحقيقه :

ومرة أخرى أسمح لنفسي بالقول : ان هذه المملكة أحق بلاد الإسلام فى عهدنا هذا باصلاح هذا الوضع .وذلك بأحداث مراكز للاسلام فى مختلف حواضر العالم الغربي ، يقوم على رأسها رجال جمعوا بين قوة العلم وأمانة التبليغ ، كبعض أولئك الذين خرجوا

من هنا بدعوة الله قبل قليل إلى أوربة والفاتيكان ، فأحسنوا العرض والحوار وعادوا مكللين بالأجر والغار .

وفى ظني ان أهم واجب يتحمل تبعته كل مركز إسلامي ينشأ خارج البلاد العربية هو لم شعث الجوالـي الإسـلامية تحت رايـة الصـلاة ، ثم تخصيص برامج اسبوعية لتعليم ابنائهم مالابد من علمه عن كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، إلى برامج أخرى خاصة لنشر العربية والاسلام بين الأجانب والأعاجم ، ودعم كل من البرنامجين بمكتبة صالحة تيسر لطالب العلم سبيل الحصول على بغيته من أقرب سبيل . على أن يراعى فيها مستوى كل من القسمين ، مع الاهتمام الكبير بنوعية المنشورات والكتب ، بحيث تكون مقصورة على عرض الإسلام وتيسير العربية دون انحراف نحـو الدعايات السياسية الخاصة .

لقد حدثني قبل أيام فتى سعودى كريم ، على اتصال بسمو الأمير المؤمن العامـل محمـد بن الفيصـل ، منشئ (مؤسسة الايمان للتربية والتعليم والثقافة الإسلامية) التي تنتشر مدارسهاالنموذجية حتى الآن فى الرياض وجدة والمدينة المنورة . حدثني بخبر يسر كل مسلم هو أن سموه يعتزم أن يوسع دائرة المشروع إلى أبعد من حدود المملكة حتى تشمل أمريكة ، فيغزوها بالاسلام عن طريق التعليم ، كما تقوم هي بغزو المسلمين بالنصرانية والخنفسة عن طريق المبشرين والهيبيين .

وقد أشار إلى ذلك المنشور الخاص بهذه المؤسسة المباركة ، اذ يقول فـى نهاية الفقرة الرابعة منه : (وتعـد المؤسسة مشروعاً لتحويل مدارسها إلى مدارس دولية إسلامية تكون لها نظائر خارج المملكة ، سواء فى الدول الاسلامية أو الاجنبية) .

وقد علمت بعد ذلك من أحد العاملين في هذه المؤسسة أنها ستبدأ خطواتهـا الأولى على هذا الطريق فى القاهـرة والاسكندرية ، لتكون منطلقاً إلى عمل تعليمي على مستوى العالم الاسلامي ...

وياله من طموح يستسهل فى سبيل الله كل صعب ويدغدغ الآمال بمستقبل مشحون بالنصر والمجد ، وما أحوج مؤتمر (رسالة المسجد) إلى مثل هـذا الطموح ، الذي من شأنه أن يرد بفضل الله وتوفيقه إلى المسجد رسالته العظمى ، فى ايصال هداية الله إلى كل مستحق لها من عباد الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



لفضيلة الشيخ عبد الرؤوف اللبدي

المدرس بكلية الشريعة بالجامعة

صديقي الأعز وعدوي الألدّ ...

لست أدرى بأي اسم من أسمائك الكثيرة أسميك ، ولا بأي نداء من نداءاتك العديدة أخاطبك ، أأسميك باسم الدرهم والدينار ، أم أخاطبك باسم الجنيه والدولار ، أم أكتب إليك بأقرب الأسماء إلى شفتيّ ، وأكثرها وروداً على سامعتيّ ، وأوسعها أخذا وعطاء أمام ناظرتيّ ، فأقول يا أيها الريال ؟! أم أترك أسماءك وألقابك إلى أشكالك وصورك ، وكم لك فوق الأرض وفى باطنها من شكول وصور تخطف الأبصار وتزيغ البصائر وتهزّ العقائد والقلوب هزا عنيفا .

أنا لا يهمني أسماؤك ولا ألقابك ، ولا يعنيني أشكالك ولا صورك ، سواء أكنت ورقا مصقولا مكفولا منمنما تتخطفه الأيدى ، أم كنت ذهباً أصفر مشعاً لا يتحرك إلا بتؤدة ولا يجلس إلا مجلساً كريماً ، أم كنت تجارة متداولة أم عمارة متطاولة ، أم سائمة تملأ المراعي ، أم نباتاً يطعمه الناس .

أنا لا يهمني شيء من ذلك ، وإنما يهمني حقيقتك ومعناك ، يهمني هذا الدور الذى تقوم به على مسرح هذا العالم مذ هبط آدم إلى الأرض إلى أن يدس أبناؤه فى التراب .

ولقد دعا هذه الخواطر التي أكتبها إليك داع ربما لم يكن دعاؤه نديا ، ولكنه على كل حال قد دعا سواء أكان دعاؤه ندياً أم خفيتاً خفيا ، دعاها أبيات قالها النمر بن تولب العكلي لعاذلة أغلب الظن أنها كانت زوجه ، ولعلها كانت تلومه فى إنفاق ، وتعتب عليه بسط يد ، وتطلب إليه أن يمسك عليه ماله ، قال :

أعاذل إن يصبح صداي بقفرة
بعيدا نآني صاحبي وقريبي
ترى أن ما أبقيت لم أك ربه
وأن الذى أنفقت كان نصيبي
وذي إبل يسعى ويحسبها له
أخو نصب فى رعيها ودؤوب

غدت وغدا رب سواه يقودهــا
وبدل أحجارا وجــال قليـــب

ما أكثر ما أنشدت هذه الأبيات التي تتحدث عنك ، وما أكثر ماردّدت هذا الشعر الذى يصور نزاعاً فيك : زوجة تحرص عليك وتضن بك ، وتحبك حباً جماً ولا تطيق فراقاً ، وزوج يعدّك ماله حين ينتفع بك ، ويراك نصيبه حين ينفقك ، أما حين يحبسك ويغلق دونك الأبواب فلست له مالا ، وإنما أنت مال أناس آخرين ستأتيهم بـــرداً وسلاما ، دون أن ينصبوا فيك أو يدأبوا لك أو يقوموا عليك قياما .

وقد تسألني وتقول : وما قضاؤك لو قضيت ؟ أي الزوجين كان على حق ؟ وأي الرأيين كان صواباً ؟
أما عقلي فمع الرجل ، وأما هواي فمع المرأة ، ويالله من ذاك الهوى ! !

لقد أفسدت عليّ أيها المال حياتي ، أفسدت عليّ ديني ، وأفسدت عليّ خلقي ، وسلبتني الرأي ، وباعدت مابيني وبين الكتب .

شتان ماحالى وقد حرمتك ، وحالى بعد أن عرفتك وذقتك ، كان لي قبل أن أراك رأي أقوله لا أبالى فيه العواقب ولا أخشى الثبات ، أرى الباطل فأقول هذا باطل ، وأسمع المفتري فأناديه ياذا الأفك والبهتان ، وأحضر مجالس المنافقين والمرائين فيكون لى فيها رأي لايطيب لهم سماعه ،

كنت قبل أن تقوم بيننا هذه المودة أشترى بالقليل القليل الذى أجمعه منك كتب علم وأدب أوسع بها معارفي ، وأصقل بها ذوقي ، وأثقف بها نفسي ، وأملأ بها سمعي وقلبي ، كنت أفضل ذلك على أن أشتري بك أطعمة لذيذة يتمتع بها حسى ، ويتضخم بها جسمي ، ويتبلد بها ذهني ، ويموت فيها نشاطي ، كنت أفضل ذلك على أن أشتري بك ثياباً جديدة جميلة أختال فيها كمـا تختال الطواويس ، وأميس فيها كما يميس الصغار والفتيان فى ثيابهم الجديدة أيام أعيادهم السعيدة .

كنت من قبل أن تقوم بيننا هذه المودة أعيب أيما عيب أناساً على رغم مـا يتسمون به من العلم والفضل يقبلون على جمعك وادخـــارك بشراهـــة ، لا يعرفون فيك سكينة ولا أمنا ، ولا يذوقون فيك راحة ولا نوما ، وإذا ما سألت : علام هذا النصب الناصب وفيم هذا السعي اللاغب ؟! قال قائلهم : أريد أن أؤمن مستقبلي ومستقبل أولادي من بعدي ، أتريد أن يعيش التجار ورجال الأعمال وأصحاب المهن وسائر الناس فى سعة من العيش وخفض ،

ونعيش نحن رجال العلم فى ضيق من العيش وحرمان من الدنيا وزهد فى نعيم الحياة ؟! ألسنا يا أخى بشراً من هؤلاء البشر ؟! أفلا يكون حقاً وعدلا أن نستمتع كما يستمتعون وننعم كما ينعمون ؟! لقد وفّر الناس لأنفسهم أموالا ضمنت لهم مستقبلهم ، ونالوا من الطيبات ما طابت به أنفسهم ، وأخذوا من أسباب الحياة مانعمت به حياتهم ، فإذا وفرنا لأنفسنا ما وفروا ، ونلنا من الطيبات مانالوا ، أفنكون بذلك قد اجترحنا السيئات ونلقى من بعد أثاما ؟!

كنت قبل أن عرفتك أيها المال أنعم بحياتي ، وأحسن التصرف فيما أدع وفيما آتي ، وأجد أيامي راضية واسعة مباركة ، أعبد الله فى طمأنينة وسكينة وحضور قلب ، وأحضر دروس غير معجل ولا كاره ، وأذهب إلى مكان تدريسي مبكراً ، وألقى طلابي هاشاً باشاً نشيطاً ، ثم لا أعدم مع هذا أوقاتاً طيبة أصاحب فيها علماء رحلوا عن هذه الحياة الدنيا منذ قرون ، وقد شغلوا عن تأمين مستقبلهم ومستقبل أبنائهم فى الحياة الدنيا ، وعن التمتع بالطيبات من الرزق والرفاه من العيش ، قد شغلوا عن ذلك كله بتأمين مستقبلهم فى الدار الآخرة ، وتأمين مستقبل أبناء المسلمين بتركة مباركة غنية من العلم والأدب والمعرفة .

كنت ... وكنت ... وما أكثر ما كنت ... وما أقل ما كنت .... ثم ذقت طرفا من حلاوتك ، وتمليت بقية عمر فى صحبتك ، وأصبحت أدور معك حيث تدور ، وأقف معك حيثما تقف ، قد استعبدني هواك وحبي إياك، حتى لم أعد أبصر الأمور إلا بعينيك ، ولا أسمع الأشياء إلا بأذنيك ، ولا يطيب لي العيش إلا حيث تكون .

بالأمس أمسكت حزمة سمينة من أوراقك الثمينة ، أقلبها تارة وأعدّها تارة أخرى ، ثم أرفه عن نفسي بتقسيمها ألفاً ألفا ، ثم بتقسيمها ألفين ألفين ، ثم أضمها كلها بعضها إلى بعض وأسرح الطرف إليها فى زهو وإعجاب .

ثم حملني الزهو والأعجاب على أن أملأ جيبي بتلك الأوراق وأجوب بها الأسواق ، ومع أن عينيّ كانتا تلبسان نظارات طبية جديدة ، وكان إبصاري بهما قويا حديدا ، مع ذلك كنت لفرط زهوي وغروري لا أرى الناس والأشياء إلا أشباحاً وظلالا ، وعلى رغم أنى فارقت شبابي منذ عهد بعيد ، فقد خطوت خطوات الشباب السريعة الواسعة الواثبة ، ومضيت فى

السوق لا ألوي على شيء ولا أعوج بشيء ، وسرعان ماصدمت أحد العابرين فإذا هو لقى على الأرض يئن ويتلوى ، ونظرت إليه من عل فوجدت فيه مسكيناً غريباً زريّ الهيأة ، فحقرت شأنه ومضيت لطيّتي لا أبالي ، والناس يرجمونني بنظرات ملؤها السخط والمقت

وفجأة رأيتني وأنا لا أدرى أمام مكتبة ضخمة فخمة تموج بالكتب وبالمشترين موجا ، وكاد حنيني الكمين القديم يقذفني إلى الداخل لولا صوت رنّ فى أذني يقول : إلى أين ؟! أتريد أن تعود إلى عهدك القديم وسيرتك الأولى ؟! علام ذلك وفيمه ؟! لقد نلت الشهادة منذ سنين بعيدة ،وأصبحت بها موظفاً ذا درجة حميدة ، فما أنت والكتب والمكتبات ؟! تلك أيام قد خلت لها ماكسبت وعليها مااكتسبت ، ومابك من حاجة أن تعود ، أتريد أن تدرس وتطالع ؟ وما حاجتك إلى المطالعة والدرس ؟! كان ذلك من أجل الامتحانات وقد نجحت فى تلك الامتحانات ، أتريدها توسيعاً لمعلوماتك وتعميقاً لمفهوماتك فى تحضير دروسك لطلابك ؟ ولكن ماحاجتك إلى ذلك ؟! تدبير تجارتك وتربيب أموالك أولى بوقتك واهتمامك ، أم تخشى أن يفجأك المفتش فيلقاك مقصراً مهملا ، ولكنك تعلم أنه لا تثريب عليك في ذلك ولا تأثيم ، فكثيراً مادعوت رؤساء ذلك المفتش ومن بيدهم الحل والعقد إلى حفلات تقيمها لهم وموائد ، وكثيراً ماقدمت إليهم الهدايا والتحف ، فأنت بهذا فى حصن حصين من غوائل الوظيفة وفى مأمن أمين من عوادى الإهمال والتقصير .

وهممت أن أجادل وأدافع وأبين مافى قوله من خطأ وجناية وتضييع أمانة ، ولكن صوت المؤذن لصلاة العشاء وخروج المشترين من المكتبة إلى المسجد لم يدعا مجالا للجدل ولا للبيع والشراء .

ودخلت المسجد مع الداخلين وصليت مع المصلين وأنا مشغول البال مهموم القلب ثائر العواطف ، وانتهت الصلاة وأنا لا أذكر شيئا من صلاتي ولا شيئا مما قرأه الإمام فى تلك الصلاة ، ولم تصح نفسي إلا وأنا على عتبات المسجد أدس قدمي فى الحذاء .

وما أسرع ماتعزيت وتخففت من تلك الهموم بتلك اللمسات التي أحسّ بها جيبي ومافى تلك الجيب من أوراق نقدية قد ملأت منها كل جانب ، وكانت تلك اللمسات متتابعة ما تكاد تنقضي حتى تبدأ ، وكثيراً ما كانت

عيني تحسد يدي على تلك اللمسات فترسل النظـــرات وراءهـــا تشارك وتستمتع ، وما كانت أذني بمعزل عن تلك المتعة ، فما أكثر ما قالت ليدى في رقة واستعطاف : ناشدتك الله يا أختي أن تحركي تلك الأوراق بقوة فإن لها خشخشة مطربة وحفحفةلذيذة ! !

وقبل أن أخلص من السوق بقليل روعت يدى ترويعاً شديداً حين لمست جيبي فهوت ولم تجد تلك الربوة الصغيرة التي كانت تملأ كفها وتزيد ، وكاد يصيبها شلل لولا أن الشلل فى تلك اللحظات كان مصيبةأخرى ،فاستجمعت قواها وأخذت تروح وتجئ فى الجيوب كلها محمومة مرتعشة تظن جيباً أخرى قد استضافت تلك الأموال ، ولكن تلك الأموال كان قد استضافها مكان آخر بعيد لا يعلمه إلا الله .

ورجعت أدراجي أرسل النظرات هنا وهناك فوق أرض الشارع وفى زحمة الخطأ واشتجار الأقدام ، لعل تلك الأوراق قد سقطت فى الطريق .

وبينا أنا ذاهل عما حولى مطرق الرأس إلى الأرض إذا شيء يصدم ذلك الرأس بعنف فيلقيني على الأرض ، وتجمع الناس من حولى يساعدونني على القيام ويلومونني ويقولون : هذا الرجل الذى يحمل صناديق الخشب على ظهره كان يصيح بأعلى صوته مراراً وتكرارا يحذر الناس ! الخشب الخشب ! ! أفلم تسمع إذا كنت لا ترى ؟! أو لم تر إذا كنت لاتسمع ؟!

وأقبل الرجل الحامل يعتذر بكلمات أحسست فيها الحسرة وبنبرات صوت شاع فيها الأسف ، وقبلت عذر الرجل، فقد بذل فى تحذيري كل جهد ، وكانت الصدمة منه على غير قصد ، وكانت مني غفلة وشرود خاطر .

وسرت إلى البيت وئيد الخطا ظالع المشية ، وكانت نفسي تحدثني فى أثناء العودة وتقول : كان لابد من قبول عذر الرجل ، فقد ضاعت ثروتك وأصبحت ضعيفاً مسكينا لاحول ولا طول ولا مال ، ومن كان فى مثل هذه الحال فلا ينبغي له أن يفعل غير ما فعلت ، أما لو كان مالك لايزال فى جيبك فما كان ينبغي لك إلا أن تلطم وتصدم وتغلظ القول .

ولم يعجبني حديث نفسي هذا ، فأعرضت عنه وجعلته دبر أذنيّ وتحت قدميّ ، فقد كان فى اعتذار الرجل إليّ تكريم لى وتعظيم ، وكان فى قبولي العذر منه إحسان ومودة ، ثم كان فيما قدمه من عذر وفيما قدمته من عفو مؤاخاة أضاءت لها وجوه الناس ، وعمل صالح لايضيع أجره عند الله .

وطرقت باب البيت ، واستقبلني أهله وقد راعهم كدم فى الجبين ، واضطراب فى الخطا ، وصفرة فى الوجه ، ونبرات صوت حزينة أليمة خافتة لاتكاد تبلغ الآذان ، وأجبت قبل سؤال : لاتراعوا ، زلة قدم ، وسقطة جسم ، وكدوم ليست بذات بال .

– ولكن مابال صوتك يبكي ؟! وما بال عينيك قد غامتا ؟! وهاهوذا وجهك قد غارت دماؤه !!

– أشرت إلى جيبي التي كانت على صدري ، كانت خواء مطبقاً بعضها على بعض كأن لم تغن قبل قليل بأوراق ثمينة لم تعرفها جيب عاقل قط .

– أصلحك الله ! لقد حذرناك ، ولكنك ركبت رأسك واتبعت هواك ، وعلى كل حال فنعم الله علينا كثيرة لا تنفذ ، ولقد كنا من قبل أن نعرف هذا المال فى نعمة ، ومن يدري ؟! فلربما كان فى ذلك المال شر لنا فصرفه الله عنا ، فارض بما قضى الله وقدّر ، ولا تأس على مافات ، هاهو ذا العشاء محضر فتفضل .

– الحمد لله على كل حال وأسأله ، تعالى الخير لنا فيما يختار ، أما العشاء فأنا متعب وأريد أن أستريح قليلا .

وما كدت أضع رأسي على الوسادة حتى سمعت صوتاً غريباً يرن فى أرجاء الغرفة ويقول :

إنني أنا المال ، أتحدث إليك من أرجاء العالم كلها ومن أنحاء الأرض جميعاً ، إنني أحب الحرية ، أحب أن أسيح فى الأرض ، وأن أنطلق من يد إلى يد ومن صاحب إلى صاحب أحمل البر والخير ، وأنقل الإخاء والرخاء لا أحب أن يستعبدني إنسان ، ولا أن يحبسني مكان .

لقد خلقني الله فتنة للناس ومحنة ، وتجربة كبرى لهم واختبارا . فكم من أناس يراهم الناس شامخة أنوفهم على ارتفاع ثلاثين أو أربعين ألف قدم ، سرعان ما يخرون إلى الأرض يمرغون جباههم بالثرى وأنوفهم بالرغام ، حينما يرونني مقبلا من بعيد أو بارقة فى الظلام .

وكم من فقير كان يلبس ثياب التقوى ويدعو إلى الدين فى حرارة قول وصدق يقين ، ثم ساقني الله إليه فنسى الناس ونسي ما كان يعظ به الناس ، وتلهى عن حق العباد وحق الله فيما وهب له الله ، ثم اتبع خطوات الشيطان وكان عاقبة أمره غيا .

وكم من قاض جلس يحكم بين الناس فكان العدل هو الذى يقضي ، وكان الحق هو الذي يحكم ، ثم طرقت — أنا المال — عليه الأبواب فانفتحت فرجة صغيرة ت على شيء من الخوف وقليل ث ثم كثرت زياراتى ، ونجحـ وتفتحت لىَّ الأبواب .

وكم من وزير وموظف مصالح الناس وتصريف شؤ جلست — أنا المال — فى ك وجلست مصالح الناس ومص في الكفة الأخرى ، فوض كفتي فثقلت ورجحت عن الأخرى فخفت وشالت

وكم صيحة صحت يا المسلمين حين رأيت ثلة م و فئة من علمائهم لايفتر لهـ ذكرى ، ولا يطيب لهم حـ وليس لهم مشغلة إلا إياي

قليل قليل جداً أولئك ا فظلت أقدامهم ثابتة لاتزل عيونهم مبصرة لا تعشو ، وظلت قلوبهم مضيئة لا تلتف بضباب ولا يغفلها سحاب .

ولقد كرمني الله فجعلني من هذه القواعد التي يقوم عليها المجتمع ، ومن هذه الأشياء التي تصلح بها أمور الناس وأولئك الذين يرمونني بالإثم ،ويتهمونني بأنني مثير ضغائن وحروب بين أفراد

(اللهمَّ أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإِكرام، أستغفر الله العظيم ـ ثلاثاً ـ اللهمَّ أعِنِي على ذكرك، وشكـرك، وحسن عبادتك. اللهمَّ إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب عليَّ. وإذا أردتَ بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون). ثم تقول: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيـي ويميت وهو على كل شيء قدير)، عشر مرات قبل أن تحوِّل جلستك.

وقد صحَّ أن من قال التهليل المذكور كتب له عشر حسنات، ومُحِيَ عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه في حِرْز من كل مكروه وحُرِس من الشيطان، ثم تسبِّح الله ثلاثاً وثلاثين،

١٨

وليت الذين ينفقونني ينفقون كما أمر الله وفى سبيل الله وكيما ينتفع الناس بي فى هذه الحياة .

ولقد نسيت أن أبدي لك رأيى فيما قاله بعض الشعراء فى إنفاق المال ،

كقول هذا العكلي الذى ذكرت ،
وقول حاتم الطائي الذي لم تذكر :

أهن فى الذى تهوى التلاد فإنــه
بصير إذا ما مت نهبا مقسّمــا

قليــلا بــه ما يحمدنــك وارث
إذا نــال مما كنت تجمع مغنمــا

وقول طرفة بن العبد :

فإن كنت لا تستطيع دفــع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يــدي

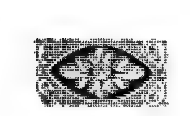
فأنا لا يعجبني هذا الذي بعث هؤلاء على ...

ويفتح باب ويهتف صوت : لعلك استرحت وزال عنك ماشكوت .

إن العشاء لايزال ينتظر .

وفررت أيها المال وفر صوتك معك ، ليتك اصطبرت قليلا وأتممت ذلك الحديث ! هل إلى رجوع من سبيل ؟

عبد الرؤوف اللبدى





الاستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة

الحمد لله الرحيم الرحمن عَلَّم القرآن . خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على رسول الله أفصح مَنْ نطق وأبان وبعد :

فقد وردت كلمة « البيان » في المعاجم العربية بمعنى : ما تبين به الشئ من الدلالة ، وغيرها ؛ تقول : بان الشئ بيانا : اتَّضح ، فهو بَيِّن ، والجمع : أبْيِنَاء ، والبيان : الفصاحة واللَّسَن ، وكلام بيِّن : فَصيح ، وفلان أبْيَنُ من فلان : أفصح وأوضح كلاماً منه ، والبيان : الإفصاح مع ذكاء ، والبيان : إظهار المقصود بأدلِّ لفظ ، وهو من الفهم وذكاء القلب مع اللَّسَن ، وأصله : الكشف والظهور .

فمادة البيان تدور حول معنى : الدلالة ، والفصاحة ، والوضوح ، والكشف ، والظهور . وقد استمرت هذه المعاني مستقرة حتى ظهرت باكورة الدراسات البيانية المتخصصة متمثلة فى كتاب (البديع) لمؤلفه الأمير الشاعر ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ؛ استجابة لدعوة الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ هـ القائمة على تحقيق التأنُّق فى رسم الصورة الأدبية ، والكشف عن الوسائل التي تزدان بها تلك الصورة ، وتزداد بها وضوحاً وروعة ، وكتاباه : (البيان والتبيين) ، (الحيوان) يمثلان أسلوبه ومنهجه فى هذه الدعوة إلى النهج البيانيّ ، وبهما اعتبره البعض مؤسس البيان العربي .

ولقد كان صنيع الجاحظ حقاً بداية التحوُّل بالبيان إلى معنى : الأدب وفنونه ، والدلالة على أسباب نضجه الفني ، والتعريف بالمقوِّمات التي قد تعترض نموَّه ، ؛ إذ لكل موضوع طريقة خاصة فى التعبير عنه ؛ فالموضوع الأدبي له العبارات الأدبية ، والألفاظ المنتقاة ، والتشبيهات ، والاستعارات ، والكنايات التي تعبر عن العواطف

المختلفة (١) بل إن لكل صناعة ألفاظها قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تلزق بصناعتهم إلا بعد أن كانت مُشَاكِلاً بينها وبين تلك الصناعة .

وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين فى خطبة أو رسالة ، أو مخاطبة العوامّ والتُّجَّار ، أو في مخاطبة أهله وعبده ، أو في حديثه إذا تحدث ، أو خبره إذا أخبر ، وكذلك من الخطأ أن يَجْلِبَ ألفاظ الأعْرَاب ،وألفاظ العوام وهو فى صناعة الكلام داخل ، ولكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل (٢) .

وعلى هذا فالبيان عند الجاحظ هو : الدلالة الظاهرة على المعنى الخفىّ ، وهو اسم جامع لكل شئ كشف لك عن قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ؛ حتى يُفْضيَ السامع إلى حقيقته ، لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ؛ إنما هو : الفهم والإفهام ؛ فبأي شى بَلَغْت الإفهام ، وأوضحْتَ عن المعنى فذلك هو البيان فى ذلك الموضع .

ثم إن أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء :

(١) اللفظ (٢) الإشارة (٣) العَقْد (٤) الخطّ (٥) الحال الدالة التي تُسمَّى : نِصْبة (بكسر النون) .

وهكذا ترى أن المعنى اللغوي للبيان هو الذي سيطر على فكر الجاحظ ، واستبدّ بخياله ، وينتهى القرن الثالث الهجري الذى برز فيه الجاحظ ، ويأتي القرن الرابع ليخرج أبو الحسين إسحاق بن وهب الكاتب كتابه : (البرهان فى وجوه البيان) مقتفياً طريق الجاحظ فى البيان والتبيين ناقداً إيَّاه ، من حيث إنه وجد فيه أخباراً منتخلة ، ولم يأت فيه بوصف البيان ، ولا أتى على أقسامه فى هذا اللسان ، حتى بات هذا الكتاب غير مستحق لهذاالاسمالذي نسبإليه(٣)

والبيان عنده على أربعة أوجه :

(١) فمنه بيان الأشياء بذواتها ، وإن لم تُبيّن بلغاتها ، وهو بيان الاعتبار .

(٢) ومنه البيان الذى يحصل فى القلب عند إهمال الفكرة واللُّبّ ، وهو ! بيان الاعتقاد .

(٣) ومنه البيان : الذي هو نطق باللسان وهو : بيان العبارة .

(٤) ومنه البيان بالكتاب : الذى يبْلُغ مَنْ بَعُد ، أو غاب (٤)

١ ـ الحيوان : حـ١/٤٥
٢ ـ المرجع السابق حـ ٣ : ١١٤
٣ ـ نقد النثر (جزء من البرهان) ص ٣ ط ١٩٣٩ وزارةالمعارف مصر
٤ ـ المرجع السابق ص ٩ ،ص ١٠

وإنك حين تتأمل فى هذه الأوجه تجدها قريبة من صنوف البيان التي قالها من قبل ؛ إذْ بيان الاعتبار ،والاعتقاد عند ابن وهب هما معاً : بيان «النَّصبة » عند الجاحظ ، وبيان العبارة هو ! بيان « اللفظ » عند الجاحظ ، وبيان الكتاب هو : بيان « الخطّ » عند الجاحظ فمحاولة ابن وهب إنما هى ترديد لما صنعه الجاحظ ، فلا بدع أن يستمـــر البيان فى نطاق معانيه اللغوية ، ونجد عالماً آخر هو الرمانّى فى كتابه : (النُكت في إعجاز القرآن) يشرح البيان : بأنه الإحضار لما يظهر به تمييز الشئْ من غيره ، وأقسامه أربعة ! كلام وحال ، وإشارة ، وعلامة (١) .

ثم يأتي القرن الخامس الهجري عصر النضج البلاغي ، ولا نجد غير التعمـــيم لكلمة : البيان ، فنجدها مرادفة للظهور فى تعريف الفصاحة عند ابن سنان الخفاجى المتوفي سنة ٤٦٦ هـ ، كمـــا وردت فى معرْض كلامه عن الأسباب التي لأجلها يغمض الكلام على السامع ، ولا يعنى بها إلا الظهور والإيضاح ، وكذلك نراها فى حديثه عن التشبيه ، وحسن الاستعارة (٢) ؛ فلم ترد كلمة البيان عنده إلا مرادفة للكشف والظهور والوضوح ، وكذلك كان الأمر عند معاصره إمام البلاغة ومؤسسها عبدالقاهر الجرجاني فى كتابيه : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، فنراه يجعل البيان مرادفاً للفصاحة ، والبلاغة ، والبراعة وكلها تعنى عنده : وصف الكلام بحُسْن الدلالة ، وتمامها فيما له كانت دلالة ، ثم تبرجها فى صورة هـــى أبهى وأزْين ، وأنقى وأعْجبْ (٣) .

ولم يكن ابن رشيق القيرواني المتوفي سنة ٤٦٢هـ ـ صاحب(العمدة) (٤) الذي عاش فى المغرب ـ أبعد أثرا مـــن معاصريه : الخفاجي ، والجرجاني اللذيْن عاشا فى المشرق ، فكل ماصنعه أنه عقد باب « البيان » فى كتابه ، ونقل فيه تعريف الرُمَّانى للبيان ، ثم ساق أمثلة للبيان الجيِّد ، وللبيان الموجز ، وأتبع ذلك بأنماط من أقوال الخلفاء الراشدين ؛ منتهياً إلى أن الجاحظ ـ وهو علاَّمة وقته ـ استفرغ الجهْد ، وصنع فيه كتاباً لا يُبلَغ جودة وفضلاً ثم ما ادَّعى إحاطة بهذا الفنْ لكثرته ، وأن كلام الناس لايحيط به إلا الله عز وجلَّ .

---

١ ـ النكت (من ثلاث رسائل فى اعجاز القران) ص ٩٨ ط دارالمعارف بمصر
٢ ـ سر الفصاحة ٥٥ ، ٢١١ ، ٢٣٥ ط صبيح بمصر ١٩٥٣م
٣ ـ دلائل الاعجاز ٤ ، ٣٠ ط الفنية المتحدة بمصر سنة ١٩٦١ م
٤ ـ العمدة فى صناعة الشعرونقده حـ ١ ٢٥٤ : ٢٥٧ ط السعادةبمصر ..

وظلت هذه المفاهيم : البيان ، البلاغة ، البراعة ، الفصاحة ، البديــع متشابكة لا تحديد فيها ، ومختلطةلاتمييز بينها ، حتى كان تقسيم علوم البلاغة على يد صاحب (مفتاح العلوم) أبو يعقوب يوسف السكّاكى المتوفى سنة ٦٢٦هـ ؛ حيث جعل البلاغة علمين هما : المعاني والبيان (١) ، والحق : وجوه تحسين الكلام وتزيينه بهذين العلمين (٢) .

وبهذا التقسيم برز البيان الاصطلاحي الذي عرّفه السكاكي بقوله :

« هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة فى وضوح الدلالــة عليه ، وبالنّقصان ؛ ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ فى مطابقة الكلام لتمام المراد منه » (٣) .

ولقد سلم هذا التقسيم وذاك التحديد للسكاكي : فكراً وتطبيقاً على الرغم من أن الزمخشري المتوفي سنة ٥٢٨ هـ هو أول مَنْ أطلق هذه التسمية ! علم المعاني وعلم البيان ، فى مقدمة تفسيره المعروف بـ (الكشّاف عن حقائق التنزيل ،وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل) ؛ حيث قال : « ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن ، وهما : علم المعاني ، وعلم البيان » (٤) ..

وواضح أن الزمخشري لم تظهر لديه الفروق بين أنواع هذين العلمين ، فخلط بين هذه الأنواع ، ولم تكن له مزية سوى السبق إلى هذه التسمية . على أنه مما لاشك فيه أن صنيع السكاكى قد شجع الخطيب القزويني على جعل علوم البلاغة ثلاثة : المعاني ، والبيان ،والبديع وشرح البيان بقوله : « علم يُعرَفْ به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى فى وضوح الدلالة عليه . (٥) » .

وهــذا التعريف عــلى وجازتــه ـ مقتبس من تعريف السكاكي ؛ كمــا ترى .

ولما جاء السَّعْد التفتازاني المتوفى سنــة ٧٩٢ هـ صاحــب : المطــوَّل ، والمختصر فى شرح : تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ـ ذكر فى كتابه : المطول تعريف الخطيب السابق ، وتعريفاً آخر للبيان قائلا : « والأقرب أن يُقال : علم البيان : علم يُبحث فيه عن التشبيه والمجاز ، والكناية (٦) .. »

١ ـ مفتاح العلوم من ص٨٦ الى ص ٢٢٤ ط الادبية بمصر١٣١٧ هـ
٢ ـ المرجع السابق من ص٢٢٤ الى ص ٢٢٩
٣ ـ المرجع السابق ص ٨٦ ٤ ـ الكشاف حـ ١ ص ١٤ ط الاميرية بمصر سنة ١٣١٨ هـ
٥ ـ الايضاح مع شروح التلخيص حـ ٣ ص ٢٥٨ ط الاميريةسنة ١٣١٧ هـ
٦ ـ المطول ص ٣١٠ ط كامل سنة ١٣٣٠ هـ

والذين جاءوا من بعد السعد من علماء البلاغة المتأخرين لم يزيدوا على ذلك شيئاً عــن التعريفين المشهورين لــدى البيانيين .

هذا ومن الوضوح بمكان أن ابن المعتز قد سمىَّ كتابه « البديع » الذى أرْسى به أسس البلاغة الفنية الخالصة ، وهو غير : البديع الذى جعله الخطيب علماً ثالثاً مستقلا عن علمي : المعاني ، والبيان ، ذلك أنه يعنى بالبديع : الجديد المستحسن لطرافته وغرابته لدى النفوس بل إن البديع تعبير عن مَسْلك تجديدي في الشعر العباسي كان يقوده الشعراء : مُسْلم بن الوليد ، وابن المعتز ، وأبو تمام ، والبحتري ، وغيرهم ممن نهج طريق التجديد البديعي والصياغي .

ثم ذهب شراح التلخيص إلى القول بأنه يمكن أن تطلق : البديع على علوم البلاغة الثلاثة ؛ لبداعة مباحثها وحسنها ؛ لأن البديع : وهو الشئ المستحسن ؛ لطرافته وغرابته ، وعدم وجود مثاله من جنسه ، ومباحث هذه العلوم كذلك

كما أنهم ذهبوا إلى أن كثيراً مــن الناس يسمى الجميع : علم البيان ؛ لأن البيان هو : المنطق الفصيح المُعْرِبُ عما فى الضمير ، ولاشك أن العلوم الثلاثة لها تعلّق بالكلام الفصيح تصحيحاً وتحسيناً (١) .

وبهذا تكون طرائق البلاغيين فى هذا الإطلاق ثلاثة :

(١) التقسيم الثلاثى : المعاني ، البيان البديع ، كما يظهر فى صنيع صاحب تلخيص المفتاح والإيضاح ؛ حيــث سَمَّى كل فنٍّ منها باسمه .

(٢) اتجاه الكثرة إلى إطلاق ا سم : البيان على العلوم الثلاثة .

(٣) اتجاه البعض إلى اطلاق اسم : البديع عليها .

ومهما تنوعت الطرائق فإن مفهوم البيان يظل دائراً بين معنيين فى حياتنا المعاصرة هما :

١ ــ معنى أدبي واسع : ينتظم الإفصاح عن كل ما يختلج فى النفس من المعاني والأفكار ، والأحاسيس والمشاعر ؛ بأساليب لها حظها الممتاز من الدقــة والإصابة ، والوضوح والجمال ، وهو بهذا التعميم يجمع فنون البلاغة الثلاثة ..

٢ ــ معنى علمي محدود هو : التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة أو المجاز أو الكناية (٢) وهو أحد فروع البلاغة عند أهل الاصطلاح .

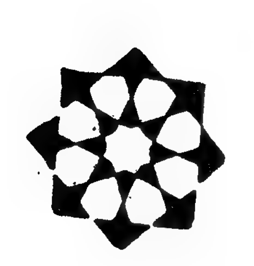
---

١ ــ شروح التلخيص حـ ١ص ١٥١ ط الاميرية سنة ١٣١٧هـ
٢ ــ فن التشبيه أ على الجندى حـ ١ ص ١٧ ط نهضة مصــرسنة ١٩٥٢ م

ولعل التعريف الذى ترتضيه للبيان الإصطلاحي هو : التعبير عن المعنى الواحد بطريق التشبيه ، أو المجاز ، أو الكناية ، ذلك أنها الطرق التي يستخدمها الأدباء فى صياغة آثارهم الأدبية الرائعة بل هى الدلالات الخاصة التي تنتظم أسرار الفصاحة والبلاغة فى جو الأساليب التي ينشئها هؤلاء الأدباء ؛ تعبيراً عن أفكارهم ، وتصويراً لعواطفهم وهذه الأساليب تتفاوت وضوحاً وخفاء، قوة وضعفا ..

ولاشك أن البيان العربي تجود به الفكرة ، وتتضح به الصورة ؛ ومن ثمّ كثر عُشّاقه على مرّ العصور يعمدون إليه ، ويحرصون عليه ، وقد تأكّدتْ منزلة البيان الرفيعة مع تعاقب الأيام والأعوام ؛ لأهمية موضوعه ؛ فما موضوعه ذلك ؟ وما مكانه من البلاغة ؟

هذا موضوع مقال تالٍ نرجو أن نوفق إليه إذا شاء الله تعالى ، هذاوبالله التوفيق .





الجمع الفاضل الكريم ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

عندما أتكلم الآن عن التفرقة أو التمييز ، وكلاهما تعبير همجي سخيف ، لا أقصد بذلك الحديث عن أولئك الذين أيقظوا هذه الفتنة ، وأمدوها بوقود الحقد حتى أصبحت ناراً موقدة وامتد أوارها فلم يعد يسلم مكان من لفحها على أديم الأرض ، فهؤلاء الذين أججوها وهم غير المسلمين ، لن يكون حديثي عنهم إلا قليلا ، فهو منهم ليس بمستغرب ، ولايحرك الجنان ليتكلم عنه اللسان . فقد اختاروا شقاء الضلال وعناء الكفر ، حتى ولو أخذت لهم الأرض زخرفها وازينت ، وظنوا قدرتهم عليها ، فهؤلاء لا يعنينا أمرهم كثيرا فى هذه المحاضرة .

ولكن الذي يهيج المسلم ليتكلم ، هو ما يقع من أهل دينه من تصرف صارخ مضاد تماماً لتعاليم هذا الدين ، ذلك أن أفتك وباء أصبنا به نحن مسلمي هذا الزمان ، ماسماه الأعداء بالتطور قد شغفنا حبا ، فأصبحنا بهم فى كل أعمالهم معجبين متيمين ، ولو تظاهرنا فى ذلك بالتأبي وعدم الرضا ، فالمعروف أن صورة العمل تبطل صورة القول ، ولم يسلم حالنا مع عدونا من تقليده فى بلاء التفريق والتمييز ، فظنه الكثير منا أنه طابع من مدنية القرن العشرين الميلادي فوباء العنصرية والتفريق بدأ يفشو فى الأمة الإسلامية ، مع علمها بتحريم الإسلام ، وهذا بدافع تقليد عدوها المكب على وجهه من جهة ، ومن جهة أخرى لفراغ صدور أهلها من معرفة دينها ، ولكى تتسم كلماتنا بالإنصاف نقول إن ملازمة هذه الصفة المقيتة للإنسان ، ثابت أمرها من أقدم الأزمان ، بل هي أول صفة استعملها الشيطان مع أول بشر ، فى قصة إبليس مع آدم ،

لما ميز نفسه وتوهم الفرق بين العنصر الذي خلق منه وهو النار ، والعنصر الذي خلق منـــه آدم وهـــو التراب ، (قال أنا خير منه خلقتني من نار ، وخلقته من طين) فأدت به هذه العنصرية إلى الطرد الأبدي من رحمة الله ، إذاً فالأصل فى العنصرية أنها صفة إبليسية ومن تلبَّس بها فقد يؤدي به ذلك إلى الطرد من رحمة الله كما طرد شيطانه ، تلك قضية واقعية لاتمارى فيها ، لكنّ انطواء هذه العنصرية أو انطلاقها على مدى الدهور ، يكون حسْب معرفة الإنسان لصانعه ولأصل صنعته ، فإذا ما أدرك قدرة الصانع الأعظم سبحانه ، عرف ضآلة نفسه باعتباره مصنوعاً ، وإذا أدرك أصل صنعته وهو التراب ، عرف تفاهة قدره ، وأن أمره كأمر كل الناس ، فلا موجب لديه يجعله يميز نفسه عن غيره ، فالصانع واحد هو الله والأصل واحد هو التراب ، تدوسه النعال ، (كلكم لآدم ، وآدم من تراب) فإذا ما علم هذا وسيطر على الأفهام فى أي عصر ، سيطرت روح التآخي ، وهيمنت مشاعر التواصل ، وأنـــزوت نـــزوات التعـــالي والكبر ، فاعتصموا جميعاً بحبل الله ولم يتفرقوا ، أما إذا أخلد الإنسان إلى الأرض واتبع هواه ، ونسي ربه الذي سواه ، وأصبح فكره حبيس نفس غرور ؟ ولم يخطر بباله ذلك الطين الذى خلق منه ، حتّى ولو ادعى بأن له ديناً ، فيمسى عـــلى الفور عنصريا عصيباً ومفرقاً غريباً ، فيبدأ بتمييز ذاته عن ذوات الغير ، فإذا تنقل داخل وطنه ميز مسقط رأســـه فإذا انتقل إلى وطن آخر ميز وطنه ، فإذا انتقل إلى قارة أخرى ميز قارته ، ثم لاينسى أن يميز نفسه بلونه ، ولنا فى هذا تفصيل يأتي بعد إن شاء الله ، بل ووصل الأمر إلى العيب على مـــا يرتديه الغير من زى ، لأنه ليس كما يلبس هو وقومه ، على العادات العادية و لأنها تخالف عاداته وقومه ، بل وعلى نوع الطعام لأنه مخالف لطريقة مايطهى عندهم ويطعم ، بل وعلى اللهجات يسخر منها حيث لم تكن كما ينطق هو ويتكلم ، وهكذا أصبح يعيش فى نفس عيّابة نسيت عيبها ، فقد نسيت بارئها وما منه صُنِعتْ ، لأن عنصريته التي قام عليها كيانه ، لم تفهم صيحة القرآن فى الناس ، (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير) فالنداء المعظم بدأ أولا لكل الناس ، يذكركم بأن الأب واحد والأم واحدة ، آدم وحواء ، أى كلكم أشقاء ، ولما

تكاثرتم نثرناكم فى الأرض ، فأصبحتم شعوباً وقبائل هنا وهناك ، لكن ذلك لا ينسيكم أصل الأبوين ، فتعارفوا لتشعروا بأنكم على سواء ، والأشقاء فى النسب شئ واحد ، لكن لن يكونوا شيئاً واحداً ، إذا ما تحول التعارف بينهم إلى معرفة بربهم ، لأن معرفة الله تعطى صفة الإيمان ، ومن الإيمان يأتي التآخي وهو أعلى من التعارف ، لأن التعارف عام بين كل الناس ، والتآخي خاص بين المؤمنين ، حتى ولو كانوا أشقاء ، فقد يكون بين الأشقاء من استقام ومن اعوج ، بل قد يكون منهم من آمن ومنهم من كفر ، ولهذا سمت خصوصية التآخي على عمومية التعارف ، (إنما المؤمنون إخوة) ، فإن هنا أكدت معنيين ، أولهما تأكيد الأخوة ، وثانيهما أن تكون فقط بين المؤمنين ، ومن تحت ذلك فيقف أمرهم عند التعارف ، وأن نبرهم ونقسط إليهم ، مالم يكونوا مقاتلين أو مخرجين من الديار ، وإلا فلا بر ولا قسط ، والمكرمات عند الله للمؤمنين الأتقياء رتب تتفاوت ، وقد جعلت الآية فى النهاية أعلى الرتب فى المكرمات ، لمن انتقل من تقى إلى أتقى ، فلم يقل سبحانه تقيكم ، وإنما قال (أتقاكم) ، ولهذا جاءت الكلمتان بصيغة تفضيل واحدة ، (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أما ختام الآية (عليم خبير) فمتصل ذكر فيها — كما هو فى كل آية فى القرآن الكريم — عليم بخلقكم الذى أعلمتكم به ، لكن خبرته بأتقاكم ينفرد بها (هو أعلم بمن أتقى) ، ذلك هو توضيح الآية التي لم نعمل بها ، والتي يقرؤها الكثير ولا يعرف قصدها ، والله بقصدها أعلم ، فلما فهمها أهل القرآن يوماً اتحدوا عليها ، فلم يتفاضلوا فيما بينهم ، إلا بعمل مايجعل الواحد منهم يطمع أن يكون من الأتقى ، فلما صُمَّت الآذان عن هذه الدعوة المؤلَّفة ، الأمر الذي كما قلت لم يسلم منه مسلموا اليوم ، صار منا العنصريون والمميزون والمفرقون ، وأصبحت هذه الكلمات الكريهة لها فى أوساط المسلمين وجود ، وسنحاول إن شاء الله ، أن نأخذ من ذلك شيئاً من قديم واقعنا وجديده ، كأمثلة فقط تتجمع منها كلمات — محاضرة ، وليس للإحاطة فهو أمر يطول ولا ضرورة له .

الأفاضل المحترمون : — لما شاء الله تعالى أن ينزل من السماء نوره ، وقرن هذا النور بالرسول ، صلى الله عليه وسلم حاولت هوام الظلام أن تطفئ نور الله هذا ، فتشعبت جوانب كيدهم منقضة جميعها على النور البازغ

حديثاً ، فى شخص الرسول والقلة التي لا تملك من المنعة شيئاً للدفاع عن نفسها وكان من أبرز جوانب هذه المعركــة عنجهية الجاهلية ، والتي انحدرت متعاقبة منذ القرون الأولى ، فكان أول اصطدامها بضدها فى عصر نوح عليه السلام ، وظل شرها المميز يتوارث ويظهر مع رسالة كل رسول ، حتى أتى الرسول الخاتم صلوات الله عليه ، فأرادت أن تعمل معه عملها الذى تعودته مع غيره فكان أن لقيت حتفها تماماً على يد نبي الإسلام ، بما نزل عليه من وحى قاصم لكل عتل غاشم ، وما دمنا قد اكتفينا بضرب المثل بأول الرسل وبآخرهــم عليهم جميعاً سلام الله ، فلنذكر شيئاً مما وقع لكليهما فى ذلك ، بادئين بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم ، لاتحيزا منا ولا تمييزا ، وإنما المرسل سبحانه هو الذي قال : (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) ، فإنه وإن كان نبينا هو الآخر فى ترتيب الأزمنة ، لكنه الأول فى ترتيب المنزلة ، فقد وضعه القرآن قبلهم جميعاً ، بقوله تعالى :) إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) فبدأ سبحانه الخطاب به قبل نوح (إنا أوحينا إليك) ثم بعد ذلك ذكر نوحاً والنبيين بعده ، وفى قوله سبحانه : (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) فالآية بدأت بالنبيين عامة ، وعند الترتيب وضعت نبينا فى أول الدرجات قبل نوح ومَن بعده (ومنك ومن نوح وشمل ذلك رسل — أولى العزم ، وفى القرآن أمر الرسول أن يقول ، (وأنا أول المسلمين) ، وأمر نوح أن يقول : (وأمرت أن أكون من المسلمين) ، ولقد عمدت إلى توضيح هذا ، لتوهم البعض بأننا نميز رسولنا لمجرد التمييز ، تعصباً منا كما يفعل أهل الأديان الأخرى مع أنبيائهم ، فنحن لا نفضل إلا ما فضل الله (لا نفرق بين أحد من رسله) أعود فأقول إن أول مابدأت تقاوم به دعوة الرسول الكريم ، كانت العنصرية تلك الصفة التي لا يتشح بها إلا الجاهليون وكل جاهلي فى كل عصر ، فقد صور الكفر للغلاظ من أشراف قريش ، أن الفارق بينهم ومن أجابوا المنادى صلوات الله عليه من المساكين ، يمنع التساوي معهم بالدين الجديد ، وعن هذا النوع قدم القرآن قصتهم فى غير آية وغير سورة ، بما يعلم الكثير ، لكنى أخترت البعض منها لأتعرض لها بشئ مما نريد الوصول إليه فى هذا المقام ، فقصــة الضعفاء التي أوردها علماء ثه أسباب النزول ، لآيات سورة الأنعام البادئة بقوله تعالى : (وأنذر به الذين يخافون

أن يحشروا إلى ربهم) أسندوا روايتها بلفظ يختلف ومعنى يتحد ، إلى ابن حبانَ وأحمدَ والطبراني وابن جرير الطبري وابن أبي حاتم ، عن الصحابة سعدِ بن أبي وقاص وابن مسعود وعكرمة وخبابٍ رضي الله عنهم أجمعين ، تقول القصة : (جاء عتبة ابنُ ربيعةَ ، وشيبةُ ابن ربيعةَ ، ومطعمُ بن عدى ، والحارث بن نوفل، فى أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا : لو أن ابن أخيك يطرد هؤلاء الأعبد ، كان أعظمَ فى صدورنا ، وأطوعَ له عندنا ، وأدنى لاتباعنا إياه ، فكلم أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلنا ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون ، فنزل قوله تعالى : (وأنذر به الذين يخافون — إلى قوله تعالى : (أليس الله بأعلم بالشاكرين) ، وكانوا بلالا ، وعمار ابن ياسر ، وسالما مولى أبي حذيفة ، وصالحاً مولى أُسَيْد ، وابن مسعود ، والمقدام بن عبد الله ، وواقدا بن عبدالله الحنظلي ، وغيرهم ، فأقبل عمر فاعتذر ، فنزلت فيه الآية :

(وإذا جاءك الذين يؤمنون ، إلى آخر الآية) ، انتهى لفظ القصة ، ولنقرأ أولاً الآيات كاملة ، ثم نتناول بالتفصيل قليلا منها ، (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ، ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ماعليك من حسابهم من شيء ، وما من حسابك عليهم من شيء ، فتطردهم فتكون من الظالمين — وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين) —

فالآية الأولى قدمت قضية الحقيقة أساساً ، وهي أن الذى يخاف من يوم المحشر ، هو الذى يقبل دائماً أن ينذر ، والذي لايخاف هذا اليوم ، فما تغنيه النذر ولا ينتفع بها ، ثم يأتي بعد ذلك موضوع الطرد ليصحح الوضع ،فالذين قبلوا الإنذار خوفاً من يوم الحشر دخلوا فى رحمة الله ، فلا يملك أحد طردهم منها ولا الرسول نفسُه ،فأمره سبحانه أن يبقيهم فى حضرته ، حتى لا يحرموا من تلقى الرحمة المهداة ، وأخبره أنه سيكون ظالماً لو طردهم ، أما المستحق حقيقة للطرد فهو الذي عصى النذير ، لأنه لا يخاف أن يحشر فتكبر ، فكان أن طرد من مجلس الرسول ومن جنة الله ، وهكذا سدد الإسلام وفى أول ظهوره ضربته الماحقة ، إلى من تحمله العجرفة على تمييز نفسه وتحقير

غيره ، ودور عمر رضى الله عنه هام في القصة ، فقد استولت عليه الرهبة لما نزلت الآيات تخالف رأيه عندما قال : لو فعلنا ذلك حتى ننظر الذى يريدون ، فأسرع خائفاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم يعتذر إلى الله بين يديه ، فتنزل الآية بقبول اعتذاره ، لكن بعد أن تذكره أن ما وقع من عمر كان سوءا ، فلما علم الله أن هذا السوء غيرُ مَنْوِى وإنما وقع بغير عمد من صحابي ولي ، شرفه في نهاية الآية بالمغفرة له وإحلال الرحمة عليه ، فقد خاطب سبحانه نبيه فى شأن عمر قائلاً : (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة ، أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح ، فأنه غفور رحيم) ، فإذا كان ما أراده عمر هو إستدراج المتعالين لعلهم يؤمنون ومع ذلك اعتُبِر عمله سوءا يوجب التوبة ، ولم يشفع لعمر منزلتُه عند الله وعند رسوله إلا التوبة مما قال ، فكيف بمن يشمخون اليوم ويتميزون ، وبمن يمدونهم فى طغيانهم بالملق والزلفى ، أما الذين قالوا لنبيهم نوح عليه السلام (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا) وقالوا له : (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) رد نوحٌ عن الأولى بشجاعة حملة الحق (وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملاقوا ربهم) ، ملاقوا ربهم ينتصر لهم ممن يهزأ بهم ، أو منى إذا طردتهم ، لأنه بعد ذلك قال : (وياقوم من ينصرني من الله إن طردتهم) ، فنوحٌ أدرك بأن النصر مؤكد لهؤلاء الذين أزدرى بهم ، وأن نبوته لن تغني عنه من الله شيئاً إذا عصى الله وطردهم ، ثم لكي يغيظهم ، بدّل كلمة الأرذلين منهم ، بكلمة المؤمنين منه ، لما قال : (وما أنا بطارد الذين آمنوا) في آية ، (وما أنا بطارد المؤمنين) فى أخرى ، بل وردّ الإهانة عنهم بأن وصم خصومهم المستهزئين بالجهل مرة ، وبعدم التذكر ثانية ، (ولكنى أراكم قوماً تجهلون) ثم ، (أفلا تذكرون) ، وبعد الذى قدمه القرآن عن نبينا وعن نوح صلوات الله عليهما ، وجب التأسِّى بهما فى الأخذ على يد دعاة الفُرقة العنصريين ، بكل ما يمكن الأخذ ويستطاع .

الأفاضل المكرمون : — وبعد أن طوح الإسلام بقوة بعقبة التفرقة ،وأجهز عليها في أول صدام معها ، إنطلق ضوؤه ينير كل بطاح وبقاع ، مُبْدِلا بلاء الشقاق ببهجة الوفاق ، لكن القرآن لم يسكت عن التذكير بشر التفرقة ، لعلم منزله سبحانه ، أن هذه الرذيلة لما استعملها الشيطان فى أول مرة فى السماء ، سيكون أولى أن يستعملها فى

الأرض ، يقدمها بسهولة إلى صدور الغاوين باعتبار أنه الوسواس ، ويجعلها من أضر وعيد الإغواء لما قال : (فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين) لهذا كرر القرآن كلمة التفرقة بوضعها فى النهي القاطع بقوله : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وفى أذم المواضع بقوله : (ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا) (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شيء) وغيرها ، ولنجلس قليلا مع آية منها ، ولتكن الأخيرة مثلاً ، لنعلم أن أسوأ ضروب التفرقة هو تفريق الدين ، فلقد أوضحها المفسرون بقراءتين ، فرّقوا دينهم ، وفارقوا دينهم فالقراءة الثانية عن اليهود والنصارى الذين فارقوا دينهم ، الذي يأمرهم بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فأصبحوا كفارا بكل دين ، والقراءة الأولى وهي الأشهر ، وإن كانت الثانية لاتنكر ، فرّقوا دينهم فسرتها كلمة (شيعا) ، أى فرقاً يتشيع لها ، وهذا تحذير بالقرآن بعدم تفريق الدين ، وإذا وقع منا هذا كما وقع من غيرنا ، فلا يربطنا بالرسول سببٌ ما ، (لست منهم فى شئ) ، وجاءت هذه الآية الفاصلة فى الأمر بعد آية سبقتها بقليل ، (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به ، لعلكم تتقون) أى تتقون عقاب متبع السبل ، إن حديث الثلاث وسبعين فرقة ، التي ستنقسم أو انقسمت فعلا إليها الأمة الإسلامية ، أخبر المنبّأ صلوات الله عليه ، بأن الناحية واحدة ، والباقي فى النار ، نسبة واحدة إلى ثلاث وسبعين ، يالها من نسبة ، ويخبر الرسول بأن هذه الفرقة الوحيدة ، هى القابضة على ما كان عليه هو وأصحابه ، ولم يضف إلى ذلك أحد ، وهذا الحديث تفسير للآية الآنفة ، نعيدها ، (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به ، لعلكم تتقون) ، فالرجال العظام من هذه الأمة الذين سبقوا ، عقلوا وصية ربهم جيداً ، وعرفوا منها أن الملة لا تقبل القسمة ، وأنه أحكم تفصيلها فى آيات نزلت وسنة بينت ، فبنوا عزهم المنيع على أمرٍ هُمْ فيه كالجسد الواحد ، وخر عدوهم تحت شراك نعالهم ، لأنه لم يجد بين صفوفهم فرجة ، وأساس بنيانهم المرصوص هذا ، هو أنهم لم يمزقوا عقيدتهم إلى تجمعات ولا اتجاهات ، ولم يجعلوها جذاذا مفتتة بين المذاهب والفرق ، كتاب وسنة فقط ، فانحنت لهم أمم الأرض خضوعاً

لاتحادهم ، وأرض الجنة فى شوق لقدومهم ، فلما خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ، أخذوا عرض هذا الأدنى ، ونثروا آياته حسْب الرغبة ، وبعثروا صفحاته تبعاً للميل ، بدأ ذلك فى العصر الأموى ، ثم تفاحش إلى يومنا هذا ، فهذا أشعرى وهذا معتزلى وهذا شيعي ، إلى آخر ما رزئ بـه الإسلام ، واختفت فى أعاصير هذه المذاهب كلمة السني ، بل إن الصحابة وهم الراشدون المستن بهم بأمر الله ورسوله ، فُرِّق بينهم بل سُبوا وشُتموا من عصر يزيد إلى الآن ، وذُكر أن رجلا أتى الإمام ابن حنبل رحمه الله وهو فى مجلس علمه ، وألقى عليـه السلام ، فلم يبش له الإمام ورد عليه منقبضاً ، لأنه كان مشتهراً بالمعصية ، فقال الرجل : يا أبا عبد الله ، لم تنقبض مني ، فإني انتقلت عما كنت تعهدني برؤيا رأيتُها ، قال : وأي شيٍ رأيت؟ قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم ، كأنه على علوٍّ من الأرض ، وناس كثير أسفلُ جلوس ، فيقوم رجلٌ منهم إليه فيقول : أدع لى ، فيدعو له ، حتى لم يبق من القوم غيري ، فأردت أن أقوم فاستحيْت من قبيح ما كنت عليه ، قال لى : (يافلان ، لم لا تقوم إلىّ فتسألني أدعو لك ؟ . قلت : يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه ، فقال : إن كان يقطعك الحياء ، فقم فسلني أدع لك ، فإنك لاتسب أحداً من أصحابي ، فقمت فدعالى ، فانتهيت وقد بغض الله إلىّ ماكنت عليه ، فقال الإمام أحمد لمن فى مجلسه ، حدثوا بهذا واحفظوه ، فإنه ينفع ، بل والمذاهب الأربعة المشهورة ، وهي أقربها صلة بالكتاب والسنة منبعي الشريعة ،أتحدى إن كان واحدٌ من هؤلاء الأئمةالراسخين الأربعة ، قد طلب أن يكون له مذهب، يسمى باسمه ، ليقال بعد وفاته أنامالكي أو حنفي أو حنبلي أو شافعي ، إنكم تعلمون أن مالكاً رحمه الله ، وهو إمام دار الهجرة هذه ، أبى على الملك العباسي أن يحمل الأمة على موطئه وهو سنة خالصة ، وقال للرشيد لاتفعل ، فإن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم انتشروا فى الأمصار ، وكل منهم روى عن رسول الله ، فهل كان يقبل أن يجعل له مذهبا معينا ويسمى باسمه ؟ . وهكذا بقية هؤلاء الأئمة الكرام ، ما كانوا إلا علماء حكماء يتعلمون من بعضهم ، ويأخذ أحدهم مكانه فى مجلس أخيه ليسمع منه العلم ، وأتخيل أنهم لو كانوا يعلمون أن أقواماً ستأتي بعدهم ، يكوّنون مذاهب تسمى بأسمائهم لبرئوا منهم ، حتى لايحملوا

أنفسهم وزر المذهبية في الدين ، وهكذا نرى من أصبح زيدياً وجعفرياً إلى آخر مالا يعلمه إلا الله ، من مذاهب ابتدعت ونسبت إلى ذوات أشخاص ، مما يأباه دين سماه التنزيل باسم واحد (إن الدين عند الله الإسلام) (هو سماكم المسلمين) ، ولو جاز تغيير هذا الإسم المقدس ، أو إضافةُ مذاهب بجانبه ، لكان إسم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأولى بأن ينسب إليه مذهب فيقال المذهب المحمدي ، أو إلى أصحابه الأبرار ، فيقال المذهب البكروي أو العمرى وهكذا ، وربما سمعتم قصة المسيحي الذي وقع على مسلم غبي ليسلم على يديه ، فقال له على أى المذاهب تريد أن تسلم ؟ ، فقال له المسيحي : حتى أنتم عندكم مذاهب ، لقد هربت من (الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت والمارون) ، إذاً دعني فيما أنا فيه ، وحتى لاتجول جائلة بخاطر أحدكم فيقول : لماذا لم نعرج على الوهابية ؟ وأنا أقول : كنا ونحن خارج هنا نقرأ عن الوهابية أنه مذهب وهابي ، ينسب إلى محمد بن عبدالوهاب وشاء الله أن آتى إلى هنا فى عام سبعة وستين الهجري وستة وخمسين الميلادى ومكثت سنوات للعمل لم أسمع فيها شيئاً يذكر عن الوهابية والمذهب الوهابي ،

بل عجبت عندما أعطى أحد المدرسين موضوعاً إنشائياً لطلابه عن المذهب الوهابي ، وظن بذلك أنه يفعل شيئا مرضياً للوسط الجديد الذى قدم عليه ، وسرعان ماعلم المدير فدعاه ، وطلب منه تغيير الموضوع على الفور ، مفهماً إياه بأنه لايوجد هنا مايسمى بالمذهب الوهابي ولا بالوهابيين ، وإنما هو إمام كبقية أئمة المسلمين ، غضب لِما رأى من إهمال دينه ، فقام ليجدده ويحارب ما علُق به من بدع وخرافات ، وما أنشأ مذهباً جديدا فى الإسلام ولا نحن أنشأناه ، وأنا لا أظن واحداً منا يقول غير هذا إلى هذه اللحظة ، إذاً ، فمحمدُ بن عبد الوهاب ، أو الأئمة الأربعة ومن على شاكلتهم من أعلام الإسلام ، قد جعلهم الله أئمة يهدون بأمره ، وينْتفِع جميعُنا بوابل علمهم جميعهم ، وليس لتكوّنَ مذاهبُ بأسمائهم للتعصب لهم والتمييز بينهم ، ولقد أعجبني ذلك الشيخ فى عصرٍ ما ، عندما ذهب إليه خدم المسجد وقالوا له : أدرك الناس فقد كادوا يقتتلون فى بيت الله ، لأن منهم من يصر على صلاة التراويح عشرين ركعة كمذهبه ، ومنهم من يصر على ثمانية ، ومنهم من يصر على غير ذلك ، فقال : أخرجوهم جميعاً وأغلقوا المسجد ، قالوا كيف ؟ قال نعم ، لأن

التراويح سنة ، واتحاد المسلمين فريضة ، هذا ما أدين به منذ أشدى ، وتحدثت به قبل اليوم ، يقينا مني بأن هذا سبيل السالفين رضي الله عنهم ، والله أعلم بمن اهتدى .

الأفاضل المؤمنون : — نحن عرب ، وكفى ، وليكن بعد ذلك مايكون ، ولو لم نقل نحن مسلمون ، ألسنا نمضغ كلمة العروبة فى الدنيا ، ثم فى الآخرة ندخل بها الجنة ؟ ، أم أنــا لعروبتي تعصبت حتى كذبت ؟

لقد قضى الإسلام على هذه النعرة أيضاً ، كما قضى على غيرها بما ذكرناه في أول المحاضرة ، عندما صاح بها النبي الأبى ، يرمى بعيداً من ابتغى عصبيته أو قوميته وأهمل عقيدتـــــه (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) فهنا وضع للأفضلية الدّعامة التي يستحيل أن يكون لها بديل ، لأنها أخذ من وحي السماء ، وهي التقوى ، إنه صلوات الله عليه وهو العربي ، لم يلق من العنت والعسف أكثر مما لقى من العرب ، بل من أقرب الأقربين من العرب ، فأعمامه الذين هم صنو أبيه ، أثبت أهل السِّير أنهم كانوا اثنى عشر عماً وأبوه ثالثُ عشَرهم ، وعماته ست ، فيكون المجموع ثمانية عشر دون أبيه ، وعُدُّوا جميعاً بالأسم ، لم يُسلم منهم إلا حمزة والعباس وصفية ، رضي الله عن الثلاثة ، والباقون شاقوا الرسول وآذوه بأشد مايكون الإيذاء ، وعكس ذلك تماماً ماحدث ، فكان من الندر الأول للإسلام ودخلوا فى السابقين الذين مجدهم القرآن من ليسوا عرباً على الإطلاق ، فسلمان الفارسي ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ، تاريخهم فى الإسلام مضىء ، وارتفعوا حتى نسب بعضهم إلى بيت النبوة ، بل ووصل بلال إلى مرتبة ما روى البخارى ، من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال يوماً ، (يا بلال ، ما تصنع فى الإسلام ؟، مادخلت الجنة إلا وسمعت دف نعليك بين يدىّ) قال يارسول الله ، لاشيء غير أني إذا توضأت ، صليت ركعتين بعد الوضوء) ، وهكذا أصبحت هاتان الركعتان سنة فى الشريعة ، سنها بلال واعتمدها الرسول ، فكم من العرب والمسلمين الآن يؤدون هذه السنـــــة التي بدأها هذا الحبشي الغيرُ عربي ، رضي الله عنه ، وبلغ الأمر أن سمع الرسول دقة نعله تصطدم بأرض الجنة ، وهو لازال فى الدنيا ، ومشت على هذا الصراط أمتُنا الإسلامية سنين عديدة ، لم تقم وزنا لحسب ولا عصب واختفت

الذي حبسته فيه طويلا أخوة الإسلام ، إلى أن جاء عصرنا هذا ، فحرص الأعداء المستعمرون ، الذين احتلوا معظم رقعة الأرض الإسلامية أحقاباً طوالا ، ألا ينجابوا عنها إلا بعد أن يوقظوا فيها حمية القومية ، فنودى على الفور بعد جلاء المفرقين الخبثاء بالقومية العربية ، قبل أن يسبق أحد بنداء الأخوة الإسلامية ، وساد نداء القومية كلَّ تراب العرب ، وكان قد قُدم لها بعمل ثابت ، وهو إنشاء الجامعة العربية ، ونادت أصوات مسلمة مخلصة تطالب بانتهاز الفرصة وجعلها جامعة إسلامية ، لتوصد السبيل على تحريك القوميات مستقبلا ، وليجتمع فيها العالم الإسلامي كلّه ، عسى أن يكون ذلك تمهيدا لعودة الخلافة ، لتعود قوة المسلمين لما وُجِّدوا تحت الحكم بالقانون القرآني ، لكن هذه الأصوات أهملت ولم يصغ إليها ، وغلبت الجامعةُ العربيةُ الجامعةالإسلامية وأتى بعدها تبعاً شعارُ القومية العربية ، وليس الأخوةِ الدينية ، والآن تم للأعداء كلُ ما أرادوه من إيقاظ التمييز ، حيث نظر إلينا بقيةُ العالم الإسلامي نظرة الحذر والخيفة ، فلم يشتركوا مع العرب لما بُغي عليهم إلا بالقرارات فى المؤتمرات ، ولم يطلقوا معنا رصاصة واحدة ، والحق لهم ، ألم نجعل لأنفسنا جامعة تختص بنا ، وقومية نتميز بها ، وفى ظل الجامعة العربية والقومية العربية ، دخلت الشيوعية عدوة الإسلام الأولى أرض العرب وانتشرت ، بل سادت وحكمت ، وفى ظل القومية العربية اشتعلت الخصـومات بين العـرب ، وتقاتلت دولهم بالجيوش ، وفتك أبناء العم ببعضهم بالآلاف فى حروب تتجدد لسنين هنا وهنـاك ، وفى ظـل ذلك أيضاً قرأ العالم فى صحافة العرب وسمع من إذاعاتهم ، أفحشَ ما يكتب وما يُقال من قذف وتجريح ، وتفضيح للأسرار وتشهير بالأعراض ، بما لم ينج منه محكوم ولا حاكم ، وهكذا كنا الأمة الوحيدة التي عرف العالم عنها هذا النوع من الأدب العربي الحديث ، وفى ظل ذلك وقعت الرزية الكبرى التي أصابت فى أحشائها ، لما ضاع قدسنا وما حوله من ملك إسلامي عريض ، قدمه إلينا أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوة زنودهم ، لما جمعتهم جامعة دينية ، وأضعناه نحن فى ظل القومية العربية(١) وليمشيَ المكر السي من أعدائنا بلا توقف ، جعلوا قضيتنا مع

---

١ ـ وآخر الحصاد ما يقع الآن من العرب الصليبيين فى لبنـان ،بمدد من الصليبية العالمية ليحصروا المسلمين والفلسطينيين بين فكي عبدة العجل وعبدة الصليب بدون تقدير لجامعة او قومية .

اليهود إقليمية وليست عقيدية ، حتّى لا تتحرك لها مشاعر أمة صاحب الإسراء صلوات الله عليه ، فدرّجوها من قضية القدس المقدس ، إلى قضية فلسطين ، إلى أزمة الشرق الأوسط ، ولأننا أصبحنا إقليميين قوميين ، تقبلناها منهم بسرعة واستقر الأمر عند مجرد أزمة وتزول ، وأمسينا جميعاً على كل المستويات نرددها ، فلم تعد قضية إسلامية ولا حتى عربية ، وقلّ أن تذكر فلسطينية ، وإنما هي أزمة الشرق الأوسط ، على وزن أزمة الشرق الأدنى سابقاً ، ولازلنا وجدنا نبتلع غم هذا الكرب العظيم (١) فهل نرى الجامعة العربية يوماً — ولا يعز على الله أمر — يتحول فيه بناؤها الفخم المطل على النيل الجميل ، إلى جامعة إسلامية ، فيدخل في نشاطها الحالى نشاط إسلامي ، ولو توقن لنا آخر ما يحدث الآن في الصومال ، من منع تحفيظ القرآن الكريم والقبض على محفظيه ،

أليس الصومال عضوا في الجامعة تعرب أخيراً ليأمن لدى العرب غائلة الجفاف والفقر على يد الشيوعية ؟

نتمناها جامعة إسلامية ، وليست فقط عربية ، وفيما نزل بنا من عقاب الله كفاية (أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) ولكن من المؤكد أنه سيعز دين الله ، واليأس فى ديننا كفر ؟!

الإخوة الفضلاء :

وما قصة التفرقة بسبب اللون ، وهي قصة تلطخت بها مدنية المتحضرين فوق تلطخات ومخاز أهلكت بها الكثير في بؤر المظهر ، ... لقد أعطاني المدرس وأنا صغير درساً فى سبب تباين ألوان البشرة ! وقال لى : « إن البشرة يسود لونها إذا عاش الانسان فى المناطق التي تشتد فيها حرارة الشمس ، وتكون بيضاء فى المناطق الباردة ، فلما كبرتُ وكبرتْ معى مداركي بعض الشيء ، علمت أولا بأن هذه النظرية منقولة الينا عبر الماضي من عند غيرنا ، وعلى كل حال لامانع من أن نقبل أى مفيد من أىّ جهة ، فلسنا متزمتين ، وقد يكون ذلك صحيحاً فالكون لله ، والحرّ والبرد وهو مقلبهما ، لكني سألت نفسي ، فى مجتمعها القومية وارتقت الربانية ، إلى أن بدأ المسلمون ينسلون من دينهم رويدا عصرا بعد عصر ، وبدأ ثعبان القوميات والعصبيات يخرج من جحره ،

---

١ وراح من اوقعنا فى فخ هذ القومية ينظر ضاحكا متشفيا

إن الأوربيين عاشـــوا مئـــات السنين مستعمرين للمناطق الحارة ، ولم يتغير لون بشرتهم .. وزنوج أمريكا عاشوا فيها قرونا ولم يتغير لون بشرتهم ، والطفل الأوربي الذى ولد تحت خط الإستواء ، وتلقفته الشمس الحارقـــة وكبر تحتها لم يتغير لونه ، والملونون من مستوطني البلاد الثلجية ، لم تغير الثلوج البيضاء ألوان أطفالهم الذين لونهم الله بها وهم أجنة فى بطون أمهاتهم ، ثم إن هؤلاء السمر ابتداءاً من صعيد مصر إلى آخر القارة الإفريقية ، هل كانوا جميعاً عراة حتى غيرت الشمس لون كل أجسامهم ، أم أنه لو كانت الشمس هى المغيرة للون لكان الوجه وحده الذى يتغير ويبقى الجسم المستور بالثياب بغير تغيير ، فمعروف بأن الأبيض كله أبيض ، وأن الأسمر كله أسمر ، وقد يقول قائل : —

إننا نلاحظ تغيير لون الوجهالأبيض إذا تعرض للشمس طويلا ، أوافقه ، ولكنه تغيّر قليل لا يلبث أن يعود إلى أصل لونه ، عندما ينتهي التعرض لحرارة الشمس ، ثم هناك ألوان متعددة فاللون الأصفر يغلب على معظم دول آسيا ، فهل الشمس هناك صفراء ، والبلاد العربية لونها بَيْنَ بَيْنَ ؟! وغير هذا من ألوان متباينة ، وصور فى تكوين الوجه مختلفة ، كلنا نراها وخاصة هنا ، فى موسم الحج الجامع المهيب ، إذا من الذي لون صور ؟ « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » .

اننا نرى الأشقاء بل التوائم تتغير صورهم وألوانهم ، وما خلقوا جميعاً إلا من نطفة لا يتغير لونها وكوِّنوا فى رحم مانظن أنهم تعرضوا فيه لحرارة الشمس ولا لصقيع البرد ، فجعل الله وعز ، وعفا الله عن المدرس الذي علمني عكس هذا يوماً ، ولكنه أيضاً تعلّم قبلى من غيره ، والذي قبله كذلك — وهكذا نُسِيَ الخالق ونُسِيتْ صنعته إلى غيره (ألا له الخلق والأمر) .

وياليتنا وقفنا عند هذا ، بل رحنا نتخذ من صنعة الله هذه تفرقة وتمييزا ، ووقع فى هذه الفتنة الوافدة مسلمون كثيرون فى جهات وأماكن مختلفة أقولها وأنا متأكد منها ، ألسنا هائمين إعجاباً بتقليد الأجانب فى كل شيء وبدون استثناء ؟! حتى ولو عصينا صريح مافى كتاب الله ، لمّا قدم إلينا سبحانه تغيرُ ألواننا على أنه أية من آياته لا يفعلها سواه ، لنجعلها من ينابيع الإيمان ، المزكية للنفس الفاهمة المدركة ، ففي سورة الروم ، أسَمِعْنَا ؟ فى سورة الروم ، إسم أمة غير عربية ،

سمّى الله بها سورة من سور كتابه يقول سبحانه فى هذه السورة (ومن آياته خلق السموات والأرض ،واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن فى ذلك لآيات للعالمين » .

فالآية دليل على التحليل الواقع الذى أسلفته ، وأن اختلاف اللهجة واللون بما لا يحصيه غيره ، هو خلق له مباشر ، وليس بسبب كوني من حرارة أو برودة أو بيئة ، ولو شاء لسبب فهو لم يمنع »

فالتقدير المجمل للآية هو ومن دلائل وجوده وقدرته ، خلق السموات والأرض ، وخلق اختلاف لغاتكـــم والوان وجوهكم ومع أن اللغة واللون داخلان فى خلق السموات والأرض ، لكن اختصتا وحدهما بعبارة منفردة ليلفت سبحانه أنظار عباده إلى عِظَم آياته ، والعالمين منهم خاصة كما ذكرت الآية والتي من أعجبها ليس فقط اللغة واللون ، وإنما اختلافهما ، وذكرت كلمة : — « إن فى ذلك » مرتين ، في أول الآية وفى آخرها ، ولكنهـــا لا تفيد إلا العالمين ، الذين علموا أمر الوجود والموجد سبحانه ، فما الحال إذا قدم الله إلى خلقه ماذكرته الآيـــة ليميزوا بها الحقيقة ، فعكسوا الآية كما يقولون ، وانطلقوا يميّزون بين الناس بلون الجلد ، فإن كان أهـــل النكران مصرين على تسفّلهم هذا الذي ابتدعوه فوق كفرهم بهذه الآيات ، ومن فى ذلك اتبعهم ، فنحن عندنا لهم أيضاً تمييز يوم يقال لهم « وامتازوا اليوم أيها المجرمون » ويلون الوجوه كذلك فعندنا لوجوههم سواد لن يزول أبدا ، « يوم تبيضُ وجوه وتسودّ وجوه»

ولو كانت فى الدنيا بيضاء لامعة ، فهى يومئذٍ بكفرهم سوداء حالكة ، وإذا كانت اليوم سوداء فهي يومئذ بايمانهم جميلة بيضاء ، ثم تسمع أيضاً وصفاً للتمييز بلون الوجوه عندنا — فنقرأ — « والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً يالرهبة الوصف !

ولو وقف سبحانه عند كلمة الليل لأعطت المعنى ، ولكن الليل قد يضيئه قمر وتتلألأ فيه نجوم ، فحدد لون وجه صاحب السيئآت بالليل المظلم ، الذى لا قمر فيه ولا نجوم ، عندما يغيب كلاهما فى آخر الليل ، ونزيد من هذا اللون ما قال كتابنا أيضاً ويوم القيامة ترى اللّذين كذبوا على الله وجوههم مسودة فوجه سواد الوجه فى الآيـــة الأولى لأنهم كفروا بربهم وفى الثانية لأنهم كسبوا السيئآت وفى الثالثة لأنهم

كذبوا على الله بل منهم من سيُميَّـــز بلون لم يسبق أن لوّن وجه فى الدنيا ، وهو اللون الأزرق (يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) هذه هي قاعدة التفريق والتمييز عندنا ، وحتى التفرقة ببياض الوجه لها عندنا أيضاً مقال جميل (وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيهـــا خالدون) وإذا كان الخلود فى الرحمة هنا بمعنى الجنة فإن ما سنسمع فى الآية الآتية أحسن من الجنة (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظرة) فالنظر إلى وجه باريء الجنة خير من كل الجنة ، أما الوجوه التعسة فهي ، « ووجوه يومئذ باسرة — تظن أن يفعل بها فاقرة » باسره : شديدة العبوس فاقرة : — داهية تقصمهم ، ثم نسمع من القرآن مالا يشبع منه سمع لنعرف حقيقة القاعدة للتمييز بين الوجوه « وجوه يومئذ مسفرة ، ضاحكـــة مستبشرة ، » مسفرة : — مضيئة من الفرح « ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة » ظلمة ، من هم هؤلاء ؟ « أولئك هم الكفرة الفجرة ؟ » .

هذه هي قاعدة التفريق والتمييز عندنا تطبع الوجوه بطابع العمل ، وليس لبشرة تتلوّن فى دنيا التلون .. ولكن هل فى ديننا فرق بين المسلمين وبعضهم

— أقول : نعم وعلى نفس الأســاس والمقياس ، فحيثما كانت همة المسلم وشأنه مع ربه كان الفارق بينه ومسلم غيره ألم تقل الآية :

« لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً » وحتى أهــل صدر الإسلام قالت لهم الآية « لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى » فالكل فى الآيتين وُعِـــدَ الحسنى وسيضمهم سور الجنة ولكن التمييز داخلها فى الدرجات بقدر السبق فى الخيرات — وأما عـــن قولـــه تعالى : « ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضاً سخريا » فهي درجات الدنيا كي يسخِّر بعضنا بعضاً أي يخدمه ويعينه وليس المعنى هنـــا السخرية لأن الآية فى معرض المنفعة : « فلولا درجات الدنيا مابنى بيت ولا أقيم مصنع ، ولا حُصِدَ زرع ، فالعامل والممول كلاهما مسخر للآخر ، ومحتاج إليه ، وهذا ماتحدينا به بلاد الإلحاد أن يجعلوا له بديلاً ، أمـــا

السخرية وهي نوع من التمييز ، بل من شر أنواعه ، لأن الساخر من غيره ، إعتقد أولا الكمال فى نفسه ، وأكثر مايكون من الكافر ، وأكثر سخريته من المؤمن ، لقوله تعالى : « زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا » وقوله : « إنه كان فريق من عبادى يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وأرحمنا وأنت خير الراحمين ، فاتخذتموهم سخريا » إذا فالساخر فى الأصل هو الكافر والأصل فى المؤمن ألا يسخر وإلا ففيه من الكافر شبه ولهذا كان النداء منه سبحانه ينهانا عن هذا العمل البغيض : « يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم » والآية محفوظة والهدى هدى الله .

★

أيها الحضور الكرام :

سأخص بختام المحاضرة الشباب عامة وشباب جامعتنا خاصة وليس معنى ذلك أن ينتهز الباقى الفرصة ويخرج فيا أولادنا إن الأمل فيكم عظيم بعد الله ، فما من جامعة فى الدنيا الآن جمعت بين حناياها نحوا من تسعين جنسية إلا هذه الجامعة التي ضمتكم ، جمعت هذه الأجناس المختلفة لغة ولوناً وزياً وخلقاً ، إلى آخر ما أنتم أدرى به مني ، والله إنه لعمل جرئ من هذه الجامعة فى زمان التردي الأخلاقي — والشطح الديني تريد به إعادة صورة الإسلام الأولى يوم كان ينادى فى أى مكان وا إسلاماه ، فيردد كل موحد فى الأرض صداه وهي في سبيل هذا العمل المتسع الصعب ، تدأب جاهدة لأجلكم سخية باذلة فكونوا عند ظنها وظن ذويكم — الذين تحملوا أو تحملتم فراقهم من أجل مأرب كبير . فأزيلوا بفتوتكم المؤمنة مايحول دون تحقيق الرباط الديني العظيم ، واركلوا بأقدامكم أفكاراً لكفار من دناءات التفرقة والتمييز ، إننا نأمل فيكم بعد أن تتخرجوا وتطلعكم الجامعة حمائم الإسلام ووئام إلى بلادكم أن تعيدوا إلى الاسلام وحدته وعزته ، وأن تصلحوا خطأ جيلنا الذى ارتكبه ، فجيلنا الذى أنا منه ومنهم أصغر أو أكبر مني بقليل حملوا على ظهورهم أوزاراً ثقالاً فى حق دينهم ، فقد تعطلت شريعة القرآن ؟ وحكم حكام المسلمين بقانون الكافرين وسكت جيلنا — وتهجم حكام المسلمين على دين المسلمين ونبي المسلمين وسكت جيلنا — إنطلقت الخرافة والبدعة — وانطوت على نفسها السنة — ! وسكت جيلنا — جيلنا أطلق المرأة المسلمة فى الشوارع متهتكة فاجرة بل وعانقت الرجال وراقصتهم

وسكت جيلنا — وأسلم جيلنا لها

الزمام آمرة ناهية ترأسه وتوجّهه . خربت المساجد وهجرت إلى المساخر من شواطئ وحانات خمر وتلفزة ودور خيانة وسكت جيلنا » .

وأخيراً .. لم نسمع فى التاريخ كله قيام دولة يهودية بهذه القوة إلا فى جيلنا وفى نادينا — ولا يجرؤ مسلم واحد أن يشد الرحال إلى المسجد الذى بارك الله حوله ، ليصلي فيه ركعتين ، كل هذا وقع من الجيل السيء الحظ الذى أنا منه فلا أبرئ نفسي وماذلك يا أولادنا إلا لأننا تفرقنا ، فلم يكن إلا أن يلبسنا الله شيعاً ويذيق بعضنا بأس بعض ، وانشغلنا بالتقليد فنظرنا إلى ديننا بغير ثقة فلم ينظر الله إلينا فأحنى الوهن رؤوسنا فلم ندفع الشر عن إسلامنا إلا بأصوات غيورة هي فى هذا الضجيج كالهمس لاتعيها أذن ، وهكذا كنا سبباً فى أن يصاب الإسلام فى كبده ، بما لم يسبق له فى عصر سبق ، وهانحن مرجون لأمر الله ، إما أن يعذبنا بما جنينا ، وإما أن ينالنا بفيض عفوه فهل أنتم على الطريق الحزين سائرون ؟ أعندكم بربكم ومن يدري ؟ فقد لا نموت حتى نرى جيلكم هو القوم الذين قال القرآن عنهم « فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » .

فاطلبوا العلم متآخين وانبذوا الحساسية والعقد النفسية معتزين بما صوّركم به الله ، ورددوا قولاً واحداً لا غير هو قول الله لكم (وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

ألف الله بين قلوبنا جميعاً وآخر مانقوله « ماعودتكم إياه من أبيات قليلة تتصل بموضوع المحاضرة بعنوان « حكاية وعهد » .

(حكاية وعهد)

كأنّي ههنا أبصر	ببعض الصحب فى مهجر (١)
وفى يوم قد اتفقوا	وقالوا فى المسانسمر
فلما تم جمعهم	وقيل من الذى يخبر
فأوربي تقدمهم	وقال لهم أنا الأشهر
لأني أبيض اللون	ووجهي لامع يظهر

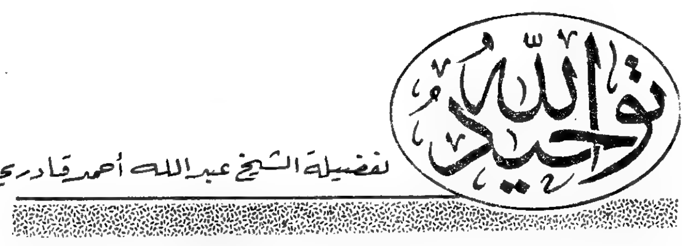
---

١ ــ مكان هجرة

وقال الأسيوى أنا — أفوق بلوني الأصفر
فوجهي فاقع اللون — يسر العين إذ تنظر
وقال الثالث العربي — أنا حظي هو الأوفر
لأني أمزج اثنين — بياض اللون والأسمر
فذاك مركب مزجي — لوجهي هكذا أنضر
ورابعهم هو العاقل — فقال : جميعكم ثرثر
بقول تشبهون به — نساء الحي لا أكثر
تفاخرتم بأوجهكم — ووجه الله لم يذكر
ووجه الله غايتنا — وليس لغيره ننظر
ومن عن ربه يعرض — لحقاً وجهه مغبر
فبالتوحيد وحدتنا — بهذا وحده نفخر
ألا سحقاً لمجتمع . — يفرق بينه المظهر
فقالوا أيها العاقل — حديثك دونه الجوهر
فبعد اليوم لن نرضى — بتفرقة لنا تضمر
وحبل الله واصلنا — وشانئنا (٢) هو الأبتر (٣)
وعهد فى منورة — بطيبة نورها يبهر
ففيها خير مبعوث — مؤاخى كل ذى عنصر
نكون أحبة أبدا — دعاة الدين لا نقصر
فقال الرابع العاقل — تعاهدنا فلا نغدر
ومن ينقض لموثقه — فعند الله لا يعذر

---

٢ ـ كارهنا — ٣ ـ المقطوع الذى لا يوصل بشىء



- ٣ - المشرف الاجتماعي بالجامعة

الحكمـة فى خلق الجـن والانس

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه الكريم ان الحكمة فى خلق الجن والانس أن يعبدوا الله تعالى ، وان فائدة عبادتهم له عائدة إليهم ، وأما الله المعبود فهو الغني المطلق ، وأنه هو الذى يرزق عباده . قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

وما ذكره بعض العلماء من أن الحكمة هي الاستخلاف فى الأرض لعمارتها مادياً ومعنويا لاينافى ماذكر، لأن العبادة بمعناها الواسع الشامل الذى سيأتي شاملة لذلك .

وكل خير وصلاح فى الأرض يعتبر جزءاً من العبادة . والتعليل المفهوم من الآية السابقة اصرح من قوله تعالى : « إني جاعل فى الأرض خليفة ، » بل ظاهر قوله تعالى : « اني جاعل فى الأرض خليفة ،، مع قول الملائكة : «اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» يدل على أنه ليس المراد بالخليفة من تجتمع فيه عمارة الأرض معنوياً ومادياً وانما المراد جعل الناس عامة خلفـاء فى الأرض أى بعضهم يخلف بعضا ، كما قال تعالى : « هو الذى جعلكم خلائف الأرض » ، وقال : « ويجعلكم خلفاء الأرض » . وليراجع تفسير ابن كثير (١ — ٦٩) وهذه الخلافةالمذكورة هي الخلافة الكونية اما الخلافة الشرعية التي هي تسلم مقاليد أمور الأمم بشروطها فذاك أمر آخر والله أعلم .

وإذا كانت الحكمة من خلقنا هي عبادة الله فما معنى هذه العبادة ؟

وما الذى تشمله ؟

وكيف فهمها السلف الصالـح فى العصور الاسلامية المفضلة ؟

وكيف يفهمها الآن عامة الناس ؟

وما نتائج الفهمين ؟

معنى العبادة

أصل العبادة فى اللغة : أقصى الطاعة والخضوع .

أما معناها فى الشرع فأحسن ما عرفت به وأجمعه تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله : « العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

كما أشار رحمه الله إلى أن العبادة لا تتحقق بمجرد وجود العنصر اللغوى، وهو الخضوع والطاعة ، بل لابد من من إضافة عنصر آخر لتحققها . وهو حب العبد ربه المعبود ولذلك قال : « فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له ... ومن خضع لانسان مع بغضه له لايكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابدا لـه .

شمول العبادة

يتضح من تعريف شيخ الاسلام السابق للعبادة أنها شاملة لحياة الانسان كلها ، فكل مايحبه الله ويرضاه عبادة فهي شاملة لاصول الاسلام وفروعه فرضه ونفله ما يتعلق بالله وما يتعلق بالعبد نفسه وما يتعلق بغيره من المخلوقين .

وهي العبادة — التي ترسم للانسان منهج حياته وتحد سلوكه وعلاقته بالخالق أو المخلوق فلا يتصرف إلا وفق تلك التوجيهات أكان ذلك فى الشعائر التعبدية أو فى سياسة الأمة فى الحكم أو المال أو التعليم والاعلام أو غير ذلك من شئون المعاملات فى السلم والحرب داخلياً وخارجيا محليا ودوليا ، وهذا المعنى هو الذى أراده سيد قطب رحمه الله فى كتابه : « معالم فى الطريق » عندما قال : « لا إله إلا الله منهج حياة »

والخلاصة ان كل عمل نافع يعتبر فى الاسلام عبادة حتى الاعمال المباحة تنقلب عبادة — إذا قصد بها وجه الله ولذلك قال أحد الصحابة : « والله اني لأحتسب نومتي كما احتسب قومتي » أى اني أرجو من الله الأجر على نومي كما أرجوه الأجر على قيام الليل ..

وقد دل القرآن الكريم على أن المسلم كله لله كما قال تعالى : « قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وبهذا الشمول فهم السلف الصالح العبادة فكانت حياتهم كلها عبادة : صلاتهم فى المسجد وجهادهم فى المعركة وقضاؤهم فى المحكمة ، وتجارتهم فى السوق ، وتعليمهم وتعلمهم فى المسجد وصيامهم فى رمضان أو غيره ،ومعاشرة أهليهم وقيامهم لربهم أو نومهم فى جوف الليل أو فى وضح النهار .

آثار هذا الفهم الشامل

وكان لهذا الفهم العميق الشامل آثاره العظيمة التي حققت الخلافة الشرعية

في أرض الله كما أراد الله ، شملت تلك الآثار افراد المسلمين وجماعتهم محكوميهم وحكوماتهم .

وتتلخص تلك الآثار فى أمرين :

الأول : صبغ حياتهم وأعمالهم بالصبغة الربانية فكانوا مشدودين إلى الله فى كل حركاتهم وسكناتهم . فما كانت تفارقهم نية العبادة ، ولذلك استكثروا من عبادة الله فى كل عمل نافع يأتونه ، لأن فى ذلك زيادة لرصيدهم عند ربهم فى ميزان حسناتهم ، فعمروا بذلك الأرض والقلوب وحققوا ما أراد الله من خلقهم على أكمل وجه .

الثاني : توحيد وجهتهم ، ووحدة غايتهم فى حياتهم كلها يرضون ربا واحداً ويطيعونه ويتجهون إليه ، فلا انقسام ولا ازدواج ولا صراع ، بل وحدة واخاء وتعاون وصلاح واصلاح شاملان ، عنوا باجسادهم كما عنوا بأرواحهم وبذلك حصل التوازن الذى دفع بهم إلى رضا الله فى كل عمل وما كانوا يعبدون الله فى المسجد فقط — كما يفعل عباد النصارى فى كنائسهم ثم يعبدون غير الله خارجه فى صورة قبر أو وثن حى أو ميت ، أو نظام أو غيره ، بل كانت قلوبهم مشغولة بذكره فى كل وقت ، وكانت رقابهم لا تنحني لسواه وكانت رؤسهم لا تطأطأ إلا له . عنه وحده يتلقون واياه وحده يطيعون فكانوا يعبدون ربهم حتى فى حال سعيهم ومزاولة وظائفهم التي ظاهرها أنها من أمور الدنيا ، كالبيع والشراء والنوم والأكل والجماع ، ولذلك وقفوا عند حدود الله ولم يعتدوا ، فالحلال ما أحله والحرام ما حرمه ، والحسن ما حسنه والقبيح ماقبحه فكانت حياة القوم كلها عبادة ، فشمل أرض الله العدل واختفى فيها الظلم ، وانتحى الصراع ، وبرز الأخاء ، فعاش الناس كلهم مسلمهم وكافرهم فى ظـــل التوجيهات الربانية محققة فى واقعهم فى طمأنينة ورضا لايخافون إلا الله آمنين على أنفسهم وأموالهم وأهليهـــم فكانت فترة نادرة فى حياة البشرية فى تاريخها الطويل . (وليس غريباً على سواهم أن يقتربوا من ذروةواقعهم إذا فهموا فهمهم وطبقوا تطبيقهم) .

فهم عامة الناس لمعنى العبادة اليوم

إذا كان ذلك هو فهم سلفنا الصالح لمعنى العبادة ، وهذه هى آثاره ، فما نصيب أمة اليوم من هذا الفهم ، وما آثار فهمهم ؟

لقد انكمش هذا المفهوم لمعنى العبادة عند أغلب الناس فاصبحوا يفهمون معنى العبادة فهماً ضيقاً جدا ، يجمع هذا المفهوم عند الجميع أن العبادة هـــى

أداء بعض الشعائر التعبدية على وجه خاص . ولذلك انقسموا إلى طوائف متشعبة كل طائفة تركز على جزء من الاسلام وكأنه هو كل الاسلام ناظرة إلى ماعند غيرها انه شيء ثانوى ان لم يكن فى نظرها تافها .

فأكتفت بعض الطوائف بالعزلة عن المجتمع والعكوف فى زوايا المساجد والتفنن فى أشكال السبحات والوانها وأنواع العمائم أو الجبب أو أي شارة من الشارات زاعمين أنهم يذكرون الله بمجرد تحريك السنتهم وأتباع حبات السبحات بعضها بعضا ، وأن ذلك الواقع الذي يعيشونه هو المطلوب منهم ، لأن المجتمع قد فسد ولابد من اتقاء شره وفساده بذلك الانعزال ليتحقق التقرب إلى الله وصيانة القلوب من صدأ المعاصي ودرن الذنوب .

واكتفت طائفة أخرى بالقوص فى متون الفقه المعقدة وشرحها وبيان غامضها والدعوة إلى تفحص حواشيها وتقليد مذهب من المذاهب والانتصار له والغلو فى صاحبه غلوا قد يخشى على صاحبه من الوقوع فى عدم توحيد مصدر التلقي .

واكتفت طائفة أخرى بالدعوة إلى التزام سلوك معين فى بعض الشعائر التعبدية والمظاهر الاسلامية كاقامة الصلاة وصوم رمضان ، واداء مناسك الحج وفق ماجاء به الرسول صلى الله عليه وسلم . والالتزام بالمظهر الاسلامي كاعفاء اللحية وعدم استعمال البسة الكفار والحث على تحقيق السنة لمعرفة صحيحها وضعيفها والدعوة على الاقصار الاقتصار على قراءة القرآن والسنة والعمل بهما .

وفى افراد هذه الطائفة من يفرط فى كثير من أمور الاسلام الهامة فلا يتعرض لها الا لماما مع أنها تستحق التركيز والاهتمام البالغين ، كالحكم بما أنزل الله وما يتعلق به . كما أن من أفراد هذه الطائفة من يبالغ فى التهجم على مذاهب علماء الأمصار وينفر من قراءة كتب الفقه بل ومن غيرها من الأفكار التي لم يصل هؤلاء الأفراد إلى فهم بعض كتاب الله وبعض سنة رسوله إلا عن طريق مؤلفي تلك الكتب

واكتفت طائفة أخرى بخوض غمار السياسة والتعمق فيها ، وتحليل أحداثها والمقارنة بين سياسة الشرق والغرب والتعليق عليها ، وكثير من أفراد هذه الطائفة بعيدون عن جوهر الاسلام يغلب عليهم الجفاف الروحي .

واكتفت طائفة أخرى بالانسياح فى العالم والدعوة إلى أصول محددة هدفها ترقيق القلوب واقامة الشعائر التعبدية

الظاهرة مع عدم التعرض للامور التي فيها خلافات دينية كانت أم سياسية ويغلب على هذه الطائفة التصوف وعلى كثير من أفرادها الجهل بكثير من أمور الدين وأهدافه كما تغلب عليهم البدع والخرافات .

وكأنهم يطبقون القاعدة المسيحيـــة المزعومة: دع مالله وما لقيصر لقيصر.

وإذا رجعنا إلى هذه الطوائف الأربع وجدنا أن خيرها الطائفة الثالثة ، ومع ذلك فهي في حاجة إلى أن تكمل نفسها بأمور لاغنى لها عنها ، وأهمها الفهم الشامل لمعنى العبادة ، وتطبيق ذلك عملياً في كل مجالات الحياة .

ولايمكن أن تحمل الدعوة إلى الله وتنجح في دعوتها إلا طائفة جمعت كل محاسن الطوائف السابقة وسلمت من سلبياتها واضافت إلى ذلك الفهـــم الشامل لمعنى العبادة — طبقاً لفهم السلف الصالح — واظهرته في عالم الواقع .

ويمكننا استنباط بعض مزايا أمـــة العبادة الشاملة من تعريف شيخ الاسلام الماضي :

« اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة »

١ — البحث عن الأمور التي يحبها الله ويرضاها ومعرفتها معرفة تامة من الكتاب والسنة حتى لايختلط ما يحبه الله بما يكرهه .

٢ — عدم التفريط في أي أمر من الأمور التي يحبها الله — على مستوى الجماعة — لاسيما فروض العين أو فروض الكفاية التي لم يقم بها أحد .

وليس من التفريط ترك شيء من ذلك للعجز عنه فـ « لا يكلف الله نفساً الا وسعها » .

٣ — اصلاح الباطن بالعقيدة الصحيحة والاخلاص لله تعالى :

٤ — اصلاح الظاهر بأن يكون السلوك شرعياً في أداء الشعائر التعبدية والمعاملات والملبس والمأكل والمشرب والمنكح ومن ذلك اعفاء اللحية وترك التشبه بأعداء الإسلام .

٥ — الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصح لكل مسلم .

٦ — جهاد أعداء الله والاعداد لـــه أعدادا معنوياً وماديا والبذل والتضحية بكل غال ونفيس .

٧ — السعي لاقامة حكم الله في الأرض ليستقر العدل وتتزلزل قواعد الظلـــم والطغيان بالوقوف في وجه كل طاغ في الأرض .

٨ — الخبرة بأمراض العصر العقائدية

والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ومعرفة علاجها النافع وأساليب تقديم ذلك العلاج للناس حتى يكون أكثر قبولا .

٩ - لزوم الجماعة والاعتصام بحبل الله والقضاء على التفرقة واخضاع النفس للحق وقبوله من اين أتى .

١٠ - البدء بالأهم فالأهم فى كل مامضى اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم فى دعوته ووصيته بذلك كما فى حديث معاذ . ولاشك أن الأمة التي فهمت المعنى الشامل للعبادة وطبقت مافهمته واقعاً عملياً هى الأنفع والأقوى وهى التي يجب أن تكون رائدة الدعوة إلى الله تعالى لأنها تصورت العبادة تصورا صحيحاً ، كما طبقتها فى الواقع سلوكاً وعملا ، وهي أقدر على تحمل المسئولية والنهوض باعباء الدعوة الثقيلة .

ورحم الله شيخ الاسلام ابن تيمية الذى فهم ذلك الفهم فكان من آثاره ما يعرفه عدوه وصديقه على السواء .

آثار الفهم الضيق لمعنى العبادة

وكما أن لفهم العبادة السلفي الذى ذكره شيخ الاسلام بن تيمية آثاره العظيمة النافعة فى الحياة فللفهم الضيق أيضاً آثاره المنعكسة على الحياة وهى آثار يكثر ضررها أو يقل حسب بعد الفهم أو قربه من الفهم الشامل الصحيح.

ومن تلك الآثار الضارة :

١ - انزواء كثير من المسلمين في نطاق ضيق من مجالات العبادة مما سبب ترك كثير من الواجبات أو ارتكاب كثير من المحرمات .

فترى منهم من يزعم الاسلام ، ولا يرضى بحكم الله الذي أنزله فى كتاب الله أو فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وترى من يزعم الاسلام وهو يمنع زكاة ماله مع استكمال شروطها ، وترى من يزعم الاسلام وهو يتعامل بالربا دون تحرج وترى من يزعم الاسلام وهو يشرب الخمر أو يرتكب الزنا وترى من يزعم الاسلام وهو يحارب الدعاة إلى الله وينكل بهم ويقتل من يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر .

وترى من يزعم الاسلام وهو يوالى أعداء الله ويعادى أولياءه وترى من يزعم الاسلام وهو قاعد عن الجهاد فى سبيل الله ، بل يثبط المجاهدين ويحاول أن يملأ قلوبهم باليأس والقنوط وكثير من هؤلاء الذين يزعمون الاسلام ويعملون تلك الأعمال أو بعضها يؤدون بعض الشعائر التعبدية أداء ميتاً لاروح فيه.

٢ - تعميق الفرقة والاختلاف بين

جماعات المسلمين بسبب تركيز كل طائفة على بعض فروع الاسلام مع اهمال الفروع الأخرى التي قد يراها الآخرون أهم من الفروع التي ركزت عليها تلك الطائفة ، وذلك يسبب عرقلة سـير الدعـوة إلى الله لأن كل طائفة من طوائف المسلمين تشغل نفسها بالرد على الطوائف الأخرى وبيـان أخطاء تلك الطوائف ، ويبقى الناس الذين أوجب الله تبليغهم دعوته بدون دعاة .

ولو فهمت كل الطوائف الفهـم السلفي الشامل لمعنى العبادة والأهم والمهم منها لما حصل ماحصل من التناحـر والتنابز بل كانت الجهود ستوحـد وستؤتى ثمارها فى وقت أقرب .

٣ ـ تعصب كل طائفة لما فهمت أنه الحق وتعصب كل فرد لطائفته فى كل أمر من أمورها دون تمحيص لما قـد يصدر عنها من خطأ ، والغفلة عمـا قد يكون من حق عند الطوائف الأخرى لعدم الاهتمام بذلك وفى هذا مافيه من ترك كثير من الحق ويخشى على افراد هذه الطوائف من الوقوع فى مثل قوله تعالى : « كل حزب بمـا لديهم فرحون » .

٤ ـ الحرمان من أجر كثير من الأعمال المباحة بسبب عدم النية الصالحة وقصد وجه الله بذلك .

ولنعد مرة أخرى لذكر معنى العبادة حسب تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية :

« اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، لنقول : ان العبادة صلاة وصيام وحج وزكاة وأمر بمعروف ونهى عن منكر وجهاد وتضحية وقراءة وتسبيح وامارة وقضاء وادارة وتدريس وسفر ونوم وقيام ، وبيع وشراء وأكل وشرب وكل حركة يتحركها العبد أو سكنة يسكنها عبادة لله مادامت مشروعة أو مباحة وقصد بها وجه الله « قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ،

سؤالان وجوابها :

السؤال الأول : إذا كانت العبادة كما ذكر شاملة لكل حياة المسلم فلما ذا عطف عليها غيرها من أوامر الدين ونواهيه كقوله تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » الآية ولو كانت هذه الأمور من العبادة لما كانت هناك حاجة إلى عطفها عليها .

الجواب : ان هذا من عطف الخاص على العام وذكره للاهتمام به لا لأنه

مغاير للمعطوف عليه وهذا مألوف فى اللغة العربية وهو فى القرآن كثير .

السؤال الثاني : إذا كان الدين كله عبادة فلماذا قسم الفقهاء الاحكام إلى عبادات ومعاملات ؟

ولهذا السؤال جوابان :

الجواب الأول : أن تقسيم الفقهاء اصطلاح منهم قصد به تسهيل الأبواب الفقهية لطالب العلم ولم يقصدوا بها أن الأحكام الأخرى التي تسمى المعاملات ليست عبادة بدليل ان تلك المعاملات يدخلها الثواب والعقاب لأن فيهـــا الواجب والمندوب وفيها الحرام والمكروه والمباح .

الجواب الثاني : أنهم قصدوا من هذا التقسيم بيان أحكام الشرع على كل نوع : النوع الأول يضم الصور والكيفيات المحددة التي ليس للعبد فيها الا التلقى من الله ثم التنفيذ وهذه هى الشعائر التعبديــة كالصــلاة والصيام والزكاة والذكر فالله هو الذى ينشىء هذا النوع وليس لغيره ان يخترع شيئاً من عنده ويدعو الناس إلى التعبد به .

النوع الثاني : يشمل الأحكام التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض فى حياتهم ، وهذه العلاقات موجودة قبل أن يأتي الشرع فالشرع لم ينشئها وانما أقر الصالح منها ونهى الناس عن الفاسد

وبناء على ذلك قررت القاعــدة المعروفة :

الأصل فى العبادات الحظر ، والأصل فى المعاملات الاباحة .

راجع فى تعريف العبادة وشمولها رسالة شيخ الاسلام ابن تيمية : العبودية وكتاب العبادة فى الاسلام للشيــخ يوسف القرضاوى .

تأثير عقيدة التوحيد فى حياة الانسان

الموحد ليس كالمشرك فللتوحيــد آثاره فى حياة الموحد وللشرك آثاره في حياة المشرك ، كما ان للعلم آثاره في حياة العالم وللجهل آثاره فى حياة الجاهل .

وقد ذكر الاستاذ المودودى فى كتابه القيم : مبادىء الاسلام آثار عقيدة التوحيد ص ٩٢ ــ ٩٩ واليك تلخيصاً لذلك . :

١ ــ بعد نظر الموحد لايمانه بالذى خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، ولذلك لايستغرب شيئا فى هذا الكون لأنه يعرف أنه مخلوق لحكيم عليم وعبد لرب قوى قادر .

٢ ـ عزة نفسه لعلمه أن المالك الحقيقي هو الله تعالى القادر على كل شيء ليس لغيره قدرة على ضر أو نفع ولذلك ينزع من قلبه خوف أى أحد غير الله .

٣ ـ تواضعه لعلمه أن الذى وهبه كل ماعنده من صحة أو قوة أو ولد أو مال أو جاه هو الله وليس من عند نفسه وأن الذي وهبه ذلك قادر على سلبه في أى لحظة .

٤ ـ الجد فى الاعمال الصالحة لعلمه أن فلاحه يكمن فى تزكية نفسه وعمله الصالح الذى يتقرب به إلى ربه .

٥ ـ قوة الأمل وطمأنينة القلب لأنه يؤمن بمن عنده خزائن السموات والأرض وبيده النفع والضر والعطاء والمنع وهو لا يغفل عن عبده المؤمن به بل يرعاه ويؤيده فلا يعتريه يأس ولا قنوط .

٦ ـ قوة العزم والصبر والثبات لعلمه أن الله معه وأنه مؤيده وناصره ذاكرا قول الله تعالى : « حسبنا الله ونعم الوكيل » التي قالها ابراهيم عندما أريد القاءه فى النار ومحمد صلى الله عليه وسلم عندما خوف بصناديد المشركين . وقول هود عليه السلام لقومه : «فكيدونى جميعاً ثم لا تنظرون انى توكلت على الله»

٧ ـ الشجاعة والاقدام ، لأن سبب الجبن أمران : الأول حب الانسان حياته وولده وماله ونحو ذلك .

الثاني : خوفه من انتزاع أحد ذلك منه : والموحد على يقين بأن الذى أعطاه كل ما يحب هو الله تعالى وهو القادر على أخذ ذلك إذا أراد . وأن غير الله تعالى ليس بيده شيء ولا يقدر على سلبه ذرة واحدة إلا إذا أقدره الله على ذلك .

٨ ـ الترفع والقناعة لعلمه بأن الرازق المعطي المانع الخافض هو الله فعليه أن يسعى في حصول مايريد من خير والله يعطيه مايشاء ويمنعه مايشاء فلا حاجة إلى سلوك الطرق الدنيئة والأخذ بالوسائل السافلة ، لأن النجاح عنده ينحصر فى فضل الله ، فلا يكون عبداً لغيره من أجل أن ينجح فى أى أمر من أموره : « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

٩ ـ التقيد بقانون الله والمحافظة عليه فى أى وقت وفى أى مكان أو زمان أو حال ، لعلمه أن الله مطلع على كل ما يأتى ويذر لا يغيب عنه شيء ، ولايمانه بأنه سيجازيه على عمله ولا يفلت من قبضته ، ولايمانه بأن ذلك هو الخير لصدوره عن حكيم عليم غني . وهو فى ذلك يتذكر درجة الاحسان : « ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » .

تفاعل المسلمين مع دينهم يرجع إلى الجانب الرّوحى فيهم

بقلم الدكتور : محفوظ ابراهيم فرج

المدرس بكلية الشريعة بالجامعة

ان شريعة االإسلام الخالدة خصها الله تعالى لأفضل نبي وأكرم رسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس . حمل تلك الشريعة الخالدة المسلمون السابقون قوية نقية فى إطار جميل من المعاملة الطيبة والاحترام الصادق للحقوق والأموال والأعراض ، وساعد على ذلك ما أدركوه وفقهوه فى الاسلام من أن الدين المعاملة لأنها وجه الدين وظاهره الذي يتجلى أمام الناس .

ولقد أشبعت الشريعة الاسلامية حاجة الناس الشديدة إلى القواعد العادلة المعتدلة للعلاقات الاجتماعية ولجميع المعاملات ، فأيقظت بذلك الضمائر وخوفتها من رقابة الله تعالى ، وعلقت الامتياز والخيرية بأمر هو فى إمكان الناس جميعاً وهو التقوى قال تعالى (يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

تمتع المسلمون السابقون بتعاليم الاسلام عقيدة وسلوكا فبددت العقيدة مافي القلب من ظلمات ومتاهات وأشعرته بعظمة الله جل جلاله وبأن الله معه فى سره وعلانيته « مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم اينما كانوا)

وكان سلوك الواحد منهم فى حياته الخاصة والعامة انعكاساً لما يقوم به من طاعة وما يؤديه من عبادة مرتفعاً عن الأغراض والأهواء لا تتحكم فيه الغرائز والميول ، وإذا ما قدر له انه استجاب لداعي شهوة أو غريزة ذكر الله فاستغفره كي تظل حياته عامرة بنور الأيمان ، ولا يجد حرجاً أن يعلن عن مخالفته ليرجع إلى الله بالتطهير مما اقترف .

فنجد ماعزا رضي الله عنه يأتي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً يارسول الله زنيت فأقم على الحد فيراجعه الرسول صلى الله عليه وسلم مرة ومرة ويظل على رأيه لا يحيد عنه فيأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإقامة الحد عليه .

وتجئ العامرية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول له زنيت هذا الحمل من سفاح وتصر على الاعتراف لأنها تريد أن تتطهر مما حلّ بها فيؤخر الرسول صلى الله عليه وسلم إقامة الحدّ عليها حتى تضع حملها وتلد ويستغنى الولد عن اللبن بالفطام وتأتي بعد ذلك ليقام عليها الحد وهي راضية كى تزيل الدنس الذي علق بها فتلقى الله وهي طاهرة . ويروى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه رجل فقال يارسول الله هلكت فقال ما لك قال وقعت على إمرأتى وأنا صائم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تجد رقبة فتعتقها ؟ قال لا . قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا قال فهل تجد اطعام ستين مسكينا ؟ قال : لا فمكث عند النبي صلى الله عليه وسلم فبينما نحن على ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر — العرق المكتل — قال : أين السائل ؟ فقال أنا قال خذ هذا فتصدق به فقال الرجل على أفقر مني يارسول الله فوالله مابين لابتها — يريد الحرثين — أهل بيت أفقر مني فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت أنيابه ثم قال أطعمه أهلك .

فهذا الصحابي تحت تأثير الشهوة يجامع امرأته فى نهار رمضان ، ولما أفاق من غفلته تحرك فيه الوازع الديني فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم معترفاً بذنبه نادماً على أهله قائلا يارسول الله هلكت ليجد عند الرسول صلى الله وسلم منقذا لنجاته .

هذه أمثلة — وغيرها كثير — توضح كيف أن المسلمين حققوا المعاني الاسلامية فى تفكيرهم ؟ وأحسنوا تنفيذها فى معاملاتهم ورجعوا إليها إذا انحرفوا عنها تحت تأثير شهوة أو غفلة أو ميل لأيمانهم بتلك التعاليم التي اعتنقوها مبدأ وسلوكا . فلا عجب أن يعترف الواحد منهم بجرمه كي يطهر نفسه ولو كان فى ذلك قضاء على حياته لأن مراقبة الله سبحانه وتعالى تمكنت فى قلبه ويعلم أن دنياه فانية وان الدار الآخرة هى الباقية ويؤمن بقوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)

تمتع المسلمون وهم على هذا النهج القويم بالقوة والمنعة ودانت لهم الدنيا وملكوا العالم وسادوا الشعوب ومكن الله لهم فى الأرض وتحقق وعد الله القائل : (ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

ودار الفلك دورته وعاد الاسلام غريبا كما بدا .

وهذه الفرية نعيشها اليوم فى عصر العلم وغزو الفضاء !!!

فمع التفوق العلمي فى جميع ميادين الحياة نشاهد طغيان المادة علـى القـيم والمبادىء كما أننا نلمس أن الغرائز كانت سببا فى إضلال عقول الناس لبعدهم عن غذاء النفس وتقويتهـا فكان التصدع بين الأفراد والجماعات وبين الدول والشعوب نتيجة ظلـم الانسان للأنسان وتعدى الجماعة على الجماعة .

في هذا الجو المكفهر المشحون بالمخالفات يتحقق فينا ذلك الحديث الصحيح الذى يرويه مسلم عن أبـي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (بدأ الاسلام غريباً ثم يعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس)

فنجد تعاليم الأسلام غير مألوفة لما عليه الناس فى حياتهم الخاصة والعامة ولم يدركوا تشريعها ولم يتذوقوا حلاوتها ولم يتجاوبوا معها حيث ظهرت الأنانية ووهنت روابط المجتمع وكادت تنعدم الأنسانية فى الانسان وأوشكت الصلات أن تنهار فى محيط الأسرة وفى دائرة المجتمع وعاش الناس فى أزمة ضمير وقال قائلهم : الدين تخلف وجمـود (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا) .

من هذه المقارنة بين الماضي والحاضر نجد أن تفاعل المسلمين مع دينهم يرجع إلى الجانب الروحي فى الانسان قوة وضعفا .

ولم يشهد التاريخ قوة للاسلام ولا عزة للمسلمين الا حينما كانوا يتخلقون بما فى مبادئ الاسلام من أخلاق ويتعاملون بما فيها من مبادئ .

والقوة فى هذه المبادئ أنها تنظم جميع الأفراد وانها عامة يتساوى فيها الكبير والصغير والغني والفقير فليس هناك تفاضل بالأموال والأنساب أو الجاه وانما التفاضل بالعمل الصالـح والتنافس فيه .

ولما بدأ التفاعل بين المسلمين وتعاليم الاسلام يضعف أخذ الأسـلام مع الأسف المحض يتحول فى نفوس أهله من حياة قوية متوثبة إلى تقاليد وشكليات

فكان أن دب الضعف فى الصف الأسلامي ولعب الاستعمار دوره معهم فصرفهم عن دينهم وقتل فيهم حيويته فتشتتوا بعد تكتل وتمزقوا بعد تجمع وقل الوازع الديني الذي يجمع الصف ويوحد الكلمة وليس من علاج لعودة المسلمين إلى وضعهم الأول من القوة والثقة الا كما قال امام دار الهجرة مالك بن أنس رضي الله عنه (لا اصلاح لهذه الأمة الا بما صلح به أولها) .

رجوع إلى الله سبحانه وتعالى فى كل الأمور وتمسك بكتاب الله جل جلاله واعتصام بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم — وماذلك على الله بعزيز —

الناس بالناس مادام الحياة بهم	**والسعد لا شك تارات وهبات**
وأفضل الناس ما بين الورى رجل	**تقضى على يده للناس حاجات**
لا تمنعن يد المعروف عن أحد	**ما دمت مقتدرا فالسعد تارات**
وأشكر فضائل صنع الله اذ جعلت	**اليك لا لك عند الناس حاجات**
قد مات قوم وما ماتت مكارمهم	**وعاش قوم وهم فى الناس أموات**

الامام الشافعى

الإسلام دين الأخوة والوحدة

فضيلة الشيخ محمد عبد المقصود

المدرس بكلية الدعوة بالجامعة

الحمد لله الذى هدانا للإيمان وشرفنا بالاسلام ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين .

فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

الأمة الإسلامية أمة إلهها واحد ، ورسولها واحد ، ودينها واحد ، « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين وكتابها هو القرآن الكريم ، الذي أنزله الله على رسوله العظيم ، دواء للإنسانية من أمراضها وأسقامها ، وعللهاوآفاتها أفرغ بآياته وشرائعه البينة الواضحة ، على أتباعه المؤمنين به ، المستظلين بظله ، صبغة الوحدة والجماعة والاخوة الإنسانية ، منحيا عنها عصبيات الجنسية والإقليمية ، فلم يؤثر فرداً على فرد ولا فئة على فئة ، ولا جماعة على جماعة

فأزال العصبية القبلية بقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وأزال العصبية الوطنية بقوله تعالى : « والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يوتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً . »

وأزال العصبية الجنسية بقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام « ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل »

سما بالإنسانية عن هذه الاعتبارات التي كثيراً ماتدفع بأصحابها إلى التفرق والخصام . وتغرى بينهم بالعداوة والبغضاء ، فتفصم عرى الأنسانية الفاضلة ، وتقضي على روح التعاون والتراحم ، وتطمس معالم السعادة والهناءة ، ووجه الناس إلى الأخذ بيد الانسانية الفاضلة ، وشهادة الموَحِّدُ لابنائه ، الوحدة فى التوجه إلى الله والأخلاص له وتلقِّى دعوته .

وأفرغ الإسلام علينا وحدة العقيدة ووحدة العبادة ، ووحدة السلوك ، ووحدة الأهداف ، ووحدة الرحم .

ونادانا فى ذلك بنداءات إلهيـــة كريمة ، تركت فى نفوسنا كل معانى الوحدة ، وبواعثها مترابطة متعانقة .

قال تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة »

« يابني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ، فمن أتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون »
« يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كمـا أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما »

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون »

فكشف الله لنا بهذه النداءات الغطاء عن المعتصم الذى يجب أن نتمسك به ولا نحيد عنه ، وهو تقوى الله ، والاتجاه إليه ، والاستعانة به فى تنفيذ أوامره ، والعمل بما وضعه من سنن في سبيل إسعاد البشرية ورقيها . .

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » وبهذا التعارف والارتباط تتقارب المصالح وتتحد المنافع ، ويصبح المسلمون فى أنحاء الأرض قوة واحدة ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويرعى قويهم حق ضعيفهم ، وغنيهم حق فقيرهم ، وصحيحهم حق مريضهم وبذلك ينتظم شملهم وتقوى وحدتهم وتعز بلادهم ، وتسود أوطانهم ، ويصبح جانبهم مرهوبا ، وحقهـم محفوظاً فتأتلف قلوبهم وتتحدمشاعرهم ، وائتلاف القلوب والمشاعر واتحاد الغايات والمناهج من أوضح تعاليم الإسلام ، وألزم خلال المسلمين .

ولا ريب ولا عجب فى أن توحيد الصفوف واجتماع الكلمة هما الدعامة الوطيدة لبقاء الأمة ، ودوام دولتها ، ونجاح رسالتها والإسلام يكره للمسلم أن ينأى بمصلحته عن مصلحة الجماعة وأن ينحصر فى نطاق نفسه ، وأن يستوحش فى تفكيره ، واحساسه .

عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه » متفق عليه

وفي الحديث : « ثلاث لايغل عليهن قلب امرئ مؤمن ، إخلاص العمـل لله ، والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم ، فإن دعاءهم يحيط من ورائهم » رواه البزار .

وإذا كانت كلمة التوحيد بـــاب الإسلام فإن توحيـد الصفـوف سر

المحافظة عليه والإبقاء على مقوماته ، والضمان للقاء الله بوجه متهلل ،وصفحة مشرقة ، والإسلام قد جعل العمل الواحد فى حقيقته وصورته مختلفاً في الأجر حين يؤديه الإنسان منفرداً وحين يؤديه مع آخرين ، إن صلاة الفَجْرِ وصلاة العشاء هى هى لم تزد شيئاً حينما يؤثر المرء أداءها فى جماعة عن أدائها فى عزلة ومع ذلك فقدضعّف الإسلام أجرها وزاد فى ثوابها بضعاً وعشرين درجة أو يزيد عندما يقف المسلم مع غيره لأدائها بين يدي الله .

وتأمل معي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذّ (الفرد) بسبع وعشرين درجة » متفق عليه .

وفى هذا حرص من النبي صلى الله عليه وسلم على الأخوة الإسلامية والوقوف مع الجماعة والانضواء تحت لوائها ونبذ العزلة ، ودفع للمسلم إلى الانسلاخ من وحدته والاندماج فى أمته .

وانظر معي وتأمل فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : والذينفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة (أى لايحضرون الجماعة) فأحرق عليهم بيوتهم ، والذى نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقاً سميناً أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء » متفق عليه .. والعرق : العظم إذا كان عليه لحم .. والمرْماة : مابين ضلع الشاة من اللحم ...

وفى هذا التهديد من رسول الإنسانية ومعلم البشرية سيد المرسلين وخير الخلق أجمعين محمد صلى الله عليه وسلممايدعو المسلم إلى الامتزاج بالمجتمع الذى يحيا ويعيش فيه ، فشرع الله الجماعة للصلوات الخمس اليومية ورغب فى حضورها وتكثير الخطا إليها .

عن عبد الله بن عمر رضي اللهعنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لاينزعه إلا الصلاة ، لم تزل رجله اليسرى تمحو عنه سيئة ، وتكتب له اليمنى حسنة حتى يدخل المسجد ، ولو يعلم الناس مافى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبواً » رواه البيهقي فى شعب الإيمان والحاكم فى مستدركه والطبراني فى الكبير .

وشرع الله لأهل القرية أو الحى الآهل أو المصر أن يلتقوا كل أسبوع

مرة لصلاة الجمعة وفى كل عيد دعاهم إلى إجتماع أعظم يؤمهم إمام واحد يقوم فيقومون ويركع فيركعون ويسجد فيسجدون يتجهون إلى إله واحد، وإلى قبلة واحدة.

والزكاة تؤخذ من أغنيائهم. وترد على فقرائهم، لكي يشعروا جميعاً أنهم جسم واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم وأحمد.

والصيام يوحد بين المسلمين فى أوقات الفراغ والعمل، وأوقات الطعام والشراب، ويفرغ عليهم جميعاً صفة الإنابة والرجوع إلى الله «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزى به».

ويرطب ألسنتهم بالتسبيح والتقديس، ويعفها عن الإيذاء والتجريح ويسد عليهم منافذ الشر والتفكير فيه؛ ويملأ قلوبهم بمحبة الخير والبر بعباد الله، ويغرس فى نفوسهم خلق الصبر الذى هو عدة الحياة... «الصوم نصف الصبر، والصبر نصف الإيمان»

والحج الذى يضم أشتات المسلمين فى المشرق والمغرب، فى مكان معلوم هو مكة المكرمة، وزمان معلوم، هو أشهر الحج، يطوفون حول بناء واحد وهو بيت الله الحرام، فيكون اللقاء بين أجناس المسلمين أمراً محتوماً «ليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات»

فديننا والحمد لله يدعو المسلمين فى جميع تشريعاته التي شرعها الله سبحانه وتعا لعباده، وتعبدهم بها يدعوهم إلى التعاون والتآزر، والتعاضدوالمؤاخاة ليربط المسلمين جميعاً برباط واحد وثيق، لتكون أمتهم أمة قوية، تخشى صولتها الأمم، وتحسب حسابهاالشعوب تغضب الدنيا لها إذا غضبت، وتضحك الدنيا لها إذا رضيت، يرهب الأعداء بأسها، ويخطب الأصدقاء ودها.

وهكذا كانت أمة الإسلام من قبل قوة جبارة وصولةً باطشة، وسلطاناً قاهراً، وقوة غالبة، وحصنا منيعاً.

وذلك طبيعي فى أمة تجمعت أفرادها واتحدت قواها «إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون»

وقد حدثنا التاريخ أن المسلمين بوحدتهم وتجمع صفوفهم استطاعوا أن يدكوا عروش القياصرة والأكاسرة، وأن يطوّحوا بتيجان الجبابرة.

وإن الأوربيين ماسادوا وخضعت لهم الدنيا ، ودان لهم العالم ، وأسلمت الحياة قيادها لهم ، وأصبحوا يهددون أمن المسلمين وسلامتهم . مع خسة في العنصر ، ولؤم في الطبع ، وإفلاس في الدين ، وزيغ في العقيدة ، ماوصلوا إلى ذلك إلا بفضل تجمعهم واتحادهم .

فما سادوا بمعجـزة علينـــا
ولكن في صفوفهـــم انضمـــام

والإسلام - يحرص على سلامة أمته ، وحفظ كيانها ، وهو لذلك يطفئ بقوة بوادر الخلاف ، ويهيب بالأفراد كافة أن يتكاتفوا على إخراج الأمة من ورطات الشقاق ومصايرة السوء « يدالله على الجماعة ومن شذ شذ فى النار » .

هذا هو السياج الذى يحفظ على الأمة الإسلامية وحدتها ، ويقيها شر العواصف والانهيار ، ويمكنها من المحافظة على سلامتها وأمنها ، فتتم النعمة ويعــود الشعار إلى أصله ، أمة واحدة ، ورب واحد .

« إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون »

والتاريخ الحديث خير شاهد على أن المسلمين والعرب إذا تمسكوا بدينهم ، وعادوا إلى وحدتهم ، وجمعوا صفوفهم كان الله معهم ، وتحقق النصر لهم .

وما وقفة الأمة العربية بقيادة شهيد الإسلام والعروبة المغفور له جلالة الملك فيصل بجانب مصر وسوريا ، يشد أزرهما ويقوى عضدهما بوضع جميع إمكانياته تحت تصرفهما ، حتى تحقق النصر فى العاشر من رمضان سنة **١٣٩٣** على العدو الصهيوني ، وأصبح العرب القوة الثالثة فى العالم ، يخشون بأسهم ، ويحسبون حسابهم ويخطبون ودهم ، ويعترفون لهـــم بحقوقهم .

ومن رعاية الله العلي القدير للأمـــة الإسلامية وتوفيقه لها أن خليفة جلالته على العرش الملك المعظـــم خالـــد بن عبد العزيز يسير على نهج سلفه العظيم ، ويضع يده فى يد إخوانه من القواد العرب فى سبيل مصلحة الأمة العربية والإسلامية ، لايضن بمال ولا يبخل بجهد مادام فى ذلك رفعة الإسلام ونصر العروبة ، والمحافظة على الحقوق ، واستعادة الأمجاد وحفظ التراث .

وفق الله العاملين للخير ، وجمعهم على الخير إنه نعم المولى ونعم النصير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



المدرس بكلية الدعوة بالجامعة

ظهر حديثاً هذا الكتاب ومؤلفه الأستاذ عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ، وهو في خمس مائة صحيفة ، وهو الحلقة الثانية للمؤلف من « سلسلة أعداء الإسلام » وكانت الحلقة الأولى « مكايد يهودية عبر التاريخ » .

والإلحاد من أبرز سفاهات الانسان ومن أشنع حماقاته ، وقد دفعه إليه قديماً وحديثاً تكبره وفجوره ، وظلمه وإجرامه ، وغفلته وجهله ، وهو قديم في البشر قدم هذه الآفات فيهم ،ولكنه فشا فى العصر الحديث بصورة تلفت النظر ، وتدعو إلى التفكر ، وقد بات من الجليّ أمام الباحثين أن أبرز من ينشر الإلحاد فى هذا الزمان أعداء الله والبشرية (اليهود) وأن الشيوعية الملحدة وسيلة من وسائلهم في نشره ، وأن مقصدهم من وراء ذلك هدم إنسانية الانسان ليصير حيواناً بشرياً يمكنهم امتطاؤه وتسخيره لمصالحهم ، كما يصرحون بذلك في (تلمودهم) وفي (بروتوكولاتهم) . كما اتضح أن عداء البابوية للعلم والعلماء في فجر النهضة الأوربية كان من أسباب انتشار الإلحاد أيضاً .

والعجيب في إلحاد هذا الزمان أنه يضرب بسيف العلم ، ويدفع عقيدة الإيمان بالله سبحانه بحجة أن العلم يأباها ، وأن الدين والعلم متناقضان (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) ولهذا شنّ الملحدون معركة ضد الدين عامة وضد الاسلام خاصة وإن الإنسان ليعجب لهذه الفرية الكبرى فأنّى للاسلام أن يتناقض مع العلم ؟ أليس العلم قوانين أوجدها الله فى كونه ، والدين كلمة الله أنزلها على أنبيائه ؟ فكيف يتناقض شيئآن مصدرهما الحكيم العليم ، وكيف يمكن لإنسان عنده شيء من عقل ووعى أن يزعمأن الاسلام يتناقض مع العلم ، وهو الذي يدعو إليه ويشجعه ؟ ويقول فيما يقول للبشر : « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » ويدعوهم للانتفاع بكل شيء في الكون بقوله

« وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه »

والحق أن الدين الصحيح صديق حميم للعلم ، وأن العلم الصحيح عدو مبين للإلحاد ، ولكن الملحدين يحلو لهم دائماً الكذب والبهتان ، واللجاج في الباطل والطغيان .

وقد غزا الإلحاد فيما غزا بلادالإسلام وقام فى ربوعها ناعقون يرددون سفاهاته وينشرون ضلالاته ، ثم برز في مؤخرة ركب الملحدين حمّال أثقال أسمه « صادق جلال العظم » الحائز على لقب « دكتور » من الذين دسّوا الكفر فى فكره ، فجمع ترهات الملحدين في كتاب اسماه (نقد الفكر الديني) وحشاه بالأغاليط والأكاذيب والجهل ومنته نفسه ورفاقه الملحدون الأماني من وراء مفترياتهم ، وطغا عليهم غرورهم ، فكان لابد من الرد عليه ومع اعتقاد المؤلف المفضال أن الإلحاد لا سندله ، وأنه أو هى من بيت العنكبوت ، إلا أن خوفه من تأثر الناشئة المسلمين بتضليلات العظم وسواه دعاه للرد على العظم رداً أتى فيه على قواعد الملحدين فنسفها بالعلم الصحيح والحجة القوية والاطلاع الواسع .

وقد وجد المؤلف في كتاب (نقد الفكر الديني) لصادق العظم أمثلة كثيرة للمغالطات وأنواع السقطات المقصود بها تضليل من يطالع كتابه من مراهقي الفتيان والفتيات من أجيال الأمة الاسلامية ، خدمة للماركسية والداروينية والفرويدية وسائر النظريات بل الفرضيات اليهودية دون أن يطرح مناقشات علمية نقدية تتحرى الحقيقة ، وقد جمع كل الأديان وكل مافيها من حق وباطل ، وكل مانسب إليها من ضعيف وقوي وفاسد وصحيح ، وقال : هذه هي الأديان ، ثم وجه النقد اللاذع للباطل الظاهر وللضعيف البيّن وللفاسد المعروف فساده ، ثم صنع من ذلك مقدمة فاسدة استنتج منها إبطال الدين كله ..

وقد أحصى المؤلف جدليات الملاحدة المعتمدة على المغالطات الفاحشة الوقحة ، والمقنعة بالحيلة والخداع في هذه العناصر :

١ ــ تعميم أمر خاص .

٢ ــ تخصيص أمر عام .

٣ ــ ضم زيادات وإضافات ليست في الأصل .

٤ ــ حذف قيود وشروط لازمة ، يؤدى حذفها إلى تغيير الحقيقة .

٥ ــ التلاعب في معاني النصوص .

٦ ــ طرح فكرة مختلفة من أساسها للتضليل بها .

٧ ـ تصيد بعض الاجتهادات الضعيفة لبعض العلماء وجعلها هي الاسلام مع أنها اجتهادات مردودة .

٨ ـ التقاط مفاهيم شاذة موجودة عند بعض الفرق التي تنتسب إلى الإسلام وإطلاق أنها مفاهيم إسلامية مسلم بها عند المسلمين والاسلام منها بريء براءة الحق من الباطل .

٩ ـ نسبة أقوال أو نصوص إلى غير قائليها .

١٠ ـ كتمان أقوال صحيحة وعدم التعرض اليها مطلقاً مع العلم بهاوشهرتها

١١ ـ الإيهام بأن العلوم المادية ملحدة على خلاف ماهي عليه في الواقع .

وقد أفرد المؤلف فصلاً من فصول الكتاب الاحد عشر للنقد الذاتي حول مفاهيم المسلمين للاسلام بيّن فيه المفاهيم الدخيلة الغريبة عن الاسلام التي حاول أعداؤه إلصاقها بتعاليمه الناصعة وكيف تحولت هذه المفاهيم الدخيلة إلى مواريث ثقيلة ، وبدع شنيعة أحسنت ظهور الأجيال ، وعرقلت سبيل تقدمها ، وهيأت المناخ المناسب لفساد الأجيال التي حملت شعار التخلص منها على غير هدى ولا بصيرة ، فتخلصت منها ومن الجوهر النافع الذي هو الأصل السليم ، وقد وجدت طائفة من هذه الأجيال بسبب تلك الشوائب الدخيلة مبررات كثيرة تلبي عن طريقها الرغبة في الانطلاق والتحرر والانسياق وراء الأهواء ومن وراء هذه الطائفة شياطين يمدون خراطيمهم في الظلمات من ديار الحرب إلى دار الاسلام فيوسوسون لها ويمنونها ويكيدون في ذلك لها وللأمة الاسلامية ما يكيدون من شر عظيم ،ووسائلهم في ذلك الإغراء بالمال أو الإطماع بالحكم والسلطان ، أو الفتنة بالنساء أو الخمر والميسر والمخدرات وأصناف اللهو ،وإضعاف القوى الفردية والاجتماعية عن طريقها والخداع بمظاهر الحضارة المادية الخلابة .

ويرجع انحراف المفاهيم الاسلامية في رأي المؤلف إلى عدة صور مصابة بالخلل أو الفساد أو التزوير ، ويذكر لها عشرة أسباب مع طرق علاجها وهي :

١ الجهل وفتور الهمة عن تفهم تعاليم الإسلام الصحيحة .

٢) اتباع الهوى .

٣) الغلو فى الدين غير الحق .

٤) النظر الضيق المحدود الذي يلازمه النظر إلى جوانب خاصة معينة من الاسلام واعتبارها الإسلام كله .

٥) الجمود .

٦) التحلل .

٧) الفتنة بكل جديد قبل اختباره .

٨) التعصب لكل قديم مهما كان شأنه ، ولو كان مخالفاً للحقيقة البينة ولأسس الاسلام الصحيحة الصافية .

٩) الأثرة التي تولد الاعجاب الشديد بالرأي وتولد التعصب والفردية في الأعمال ، وتشتت الشمل وتفرق الكلمة .

١٠) ما يكيده أعداء الإسلام من مكايد ويدخل تحت هذا السبب صورة كثيرة وفي فصل آخر من فصول الكتاب يبرز المؤلف الحقائق البينة التي تؤكد موافقة العلم للدين الحق الاسلام ، وأن الاسلام يدعو إلى الطرق العلمية في البحث ، ويفند مغالطات الملاحدة الذين كثيراً ما يدعون أن فرضية أو نظرية من النظريات قد أصبحت حقيقة علمية غير قابلة للنقض أو التعديل ، مع أن هذه النظرية لاتملك أدلة إثبات يقينية تجعلها حقيقة نهائية ، أو حقيقة مقطوعا بها ، وذلك بشهادة العلماء الذين وضعوا هذه النظرية أو ساهموا في تدعيمها .

ومن أمثلة ذلك الدارونية بالنسبة إلى نشأة الكون وخلق الانسان فهي لا تملك أدلة إثبات قاطعة أو شديدة الترجيح ، ولكن كثيراً من العلماء الماديين يقبلونها تسليماً اعتقادياً لا تسليماً علمياً ، إذ ليس لديهم اختيار بعدها إلا الإيمان بالخلق الرباني ، وهذا أمر لايجدون أنفسهم الآن مستعدين له مادام منطق الإلحاد هو المسيطر على اعتقادهم في بيئتهم .

ويأتي أنصاف المتعلمين ، كالعظم فيدعون وجود التناقض بين الدين والحقائق العلمية ، استناداً إلى وجود اختلاف بين بعض المعارف الدينية وبعض الفرضيات أو النظريات التي لم تثبت ولم ترق إلى درجة الحقائق العلمية وهم يزعمون كذباً أو يتصورون خطأ أن هذه الفرضيات أو النظريات قد أصبحت حقائق علمية ثابتة بشكل قطعي غير قابل للنقض وهنا يقعون في غلط علمي فاحش جداً ، ويتبع ذلك سقوطهم في ضلال اعتقادى كبير تجاه الدين وأصوله ومعارفه علماً بأن طائفة من النظريات التي نسبت إلى العلم قد وضعت خصيصاً لدعم قضيةالالحاد والكفر بالله على أيدي يهود أو أجراء لليهود ، وصيغت لها المقدمات والمبررات التي ليس لها قواعد منطقية علمية صحيحة .

يقول المؤلف : « فالواجب إذن يحتم علينا ــ أخذاً بطريق البحث العلمي السليم المحرر الذي أمرنا به الاسلام ــ أن نمعن النظر فيما قدمته شهادة العقل

ووسائل البحث العلمي الانسانية ، وفيما قدمته شهادة النصوص الدينية ، وان نخضع هذه الشهادات للضوابط العلمية الصحيحة المتفق عليها فى أصول العقل وأصول الدين .. وإني لأجزم بكل يقين أننا لن نجد مسألة واحدة يستحكم فيها الخلاف بين شهادة النصوص الدينية اليقينية قطعية الثبوت قطعية الدلالة ، وبين الشهادة القاطعة التي يقدمها العقل أو الشهادة القاطعة التي يقدمها البحث العلمي الإنساني البحت ، بل اليقيني من كل ذلك لابد أن يتطابق فى شهادته متى استطاع أن يصل إلى الحقيقة التي هي موضوع البحث ، فإن وصل بعضها وبعضها الآخر لم يصل أعلن كلّ عن مبلغه من العلم ، قصر في المعرفة أوزاد وفي هذا لا يوجد تناقض أو خلاف ، ولكن يوجد بيان جزئي ، وبيان أشمل وأكمل ، أو بيان جزئي من جهة وبيان جزئي من جهة أخرى »

وفي فصل (صراع من أجل قضية الايمان بالله والفكر الديني الصحيح حولها) يقول (إن الملحدين جميعاً لم يستطيعوا مجتمعين أو متفرقين أن يقدموا أية حجة منطقية أو واقعية مقبولة عند العقلاء تثبت عدم وجود خالق لهذا الكون . وقد قرأنا ماكتبه هذا الملحد وماكتبه غيره من أساطين الإلحاد فلم نجد لديهم دليلاً واحداً صحيحاً ينفي وجود الخالق جل وعلا ، بل لم نجد في كل ماكتبوه دليلاً واحداً يقدم ظناً بعدم وجود الخالق ، فضلاً عن تقديم حقيقة علمية .. جلّ مالديهم محاولات للتشكيك بعالم الغيب ،والتزام بأن لا يثبتوا إلا ماشاهدوه من مادة بالوسائل العلمية المادية .

وهذا الارتباط بحدود المادة التي لم يشهد العلم حتى العصر الحاضر إلا القليل منها إن هو إلا موقف يشبه موقف الأعمى الذى ينكر وجود الألوان لأنه لايراها ، أو الأصمّ الذي ينكر وجود الأصوات لأنه لايسمعها ، أو موقف الحمقاء حبيسة القصر التي ترى أنالوجود كله هو هذا القصر الذي تعيش فيه لأنها لم تشاهد في حياتها غيره ..فما حظ هؤلاء من العلم والأمانة العلمية ومطابقة الحقيقة والواقع ؟ كذلك الملحدون لا حظ لهم من العلم والأمانة العلمية ومطابقة الحقيقة والواقع ، إذ ينكرون الخالق جل وعلا ويصرون على إنكاره ولا يملكون دليلاً واحداً على نفي وجوده

قد يستخدمون عبارات ضخمة يستغلون فيها أسماء التقدم العلمي والصناعي وتطور مفاهيم العصر ، والبحوث العلمية في المختبرات والمعامل للتمويه بها .. مع أن التقدم العلمي

والصناعي لم يتوصل بعد إلى قياس شيء من عالم الغيب ، بل مايزال عاجزاً عن قياس أمور كثيرة داخلة في العالم المادى الذي هو مجال كل أنواع التقدم العلمي الذى انتهت اليه النهضة العلمية الحديثة .

والعلماء الماديون الذين يستخدمون المعامل والمختبرات والأجهزة العلمية المتقدمة جداً .. يحاولون تفسير كل ماشاهدوه من ظواهر بنظريات استنتاجية يغررون فيها حقائق غير مرئية وغير مشاهدة ، وهي بالنسبة إليهم وبالنسبة إلى أدواتهم مازالت أموراً غيبية ، ومع ذلك فإنهم يضطرون إلى إقرارها والتسليم بها ، ويجعلونها قوانين ثابتة يقولون عنها إنها قوانين طبيعية .

وفي هذا الفصل يتناول ما يردده العظم من الحجة الشيطانية القديمة التي تقول في آخر سلسلة التساؤل : ومن خلق الله ؟ ويناقش حججه المادية سارداً أقوال بعض علماء المادة مثل إدوارد كيسل الذي يقول :

« أثبتت البحوث العلمية دون قصد أن لهذا الكون بداية ، فأثبتت تلقائياً وجود الأدلة ، لأن كل شيء ذي بداية لايمكن أن يبتدئ بذاته ، ولابد أن يحتاج إلى المحرك الأول ، الخالق الإله » .

ويعقد المؤلف فصلاً لمناقشة (برتر أندرسل) و (فرويد) وامامي العظم ، مبيناً أن الأول صدر في إلحاده عن الهوى التعصب للدين لأنه يجعل مايقبله من تفسيرات علمية مقبولاً بصفة ترجيحية لضرورة العجز عن الوصول إلى اليقين ... وأما الثاني فهو يهودي متعصب للصهيونية وقد وصفت إحدى مساعداته في التحليل النفسي إلحاده بأنه كان زائفاً لأنه تركه بعد ذلك متشبثاً باليهودية الصهيونية ، وفياً لها ، سائراً في طريقها ، منفذاً لخططها .

ويطول الكلام لو وقفنا عند كل فصل من فصول الكتاب واقتباس بعض عباراته ، والإشارة إلى القضايا الفكرية التي يعالجها ببيان مشرق وأسلوب يمتاز بالقوة والرصانة وعمق الفكرة ، وأدع للقارئ أن يستمتع بقراءة هذا الكتاب النفيس سائلا الله عز وجل أن يهدى به الضالين ويثبت المؤمنين ويزيدهم إيماناً وأن يجزي المؤلف فضيلة الشيخ عبد الرحمن حنبكة أحسن الجزاء .

القاعدة الصلبة من المهاجرين والأنصار

أمام المحن القاسية وجهاً لوجه بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وسلم»

لفضيلة الشيخ [illegible]

١ – صَدَى وفاة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ..

أ – عند الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم ..

فوجئ الصحابة – رضي الله تعالى عنهم – بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . بعد أن رأوه في صلاة الفجر ، وأمّلوا شفاءه ومعافاته ، فنزل بهم النبأ نزول الصاعقة ، فأظلمت الدنيا في عيونهم وغرقوا في بحر من الهم والحزن عميق ..

قال أنس بن مالك – رضي الله تعالى عنه : « لما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان في اليوم الذي توفي فيه أظلم منها كل شيء » رواه الإمام أحمد .

لقد كان مصاب المسلمين بفقد رسول الله صلى الله عليه وسلم – عظيماً وأليماً .. بل لا يوصف ! .

لقد فقدوا نبيهم ومربيهم وقائدهم وأسوتهم الحسنة ، فقدوا الرجل الذي لا يساويه رجل فى الدنيا بأي جانب من جوانب الخير والكمال البشري ، وفقدوا للترجمة العملية الحية للقرآن الكريم « كان خلقه القرآن » .. ثم إنهم فقدوا نزول الوحي بفقده عليه صلوات الله وسلامه – قيل لأم أيمن : رضي الله تعالى عنها : حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مواساةً لها ما يبكيك ؟ على النبي – صلى الله عليه وسلم ؟ ماعند الله خير لرسوله ، قد أكرم الله نبيه ، فأدخله جنته ، وأراحه من نصب الدنيا ..

فقالت : إني قد علمت أن رسول الله سيموت . والله ما أبكي أن لا أكون لا أعلم أن ماعند الله خير لرسوله ، ولكني إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا ، إنما أبكي على خبر السماء كان يأتينا غضاً جديداً كل يوم ، فقد انقطع ورفع فعليه أبكي . فهيجت من عندها على البكاء فجعلوا يبكون ..

وليس هذا فحسب ، بل ان الصحابة رضي الله عنهم فقدوا نبيهم عليه الصلاة والسلام — في ظرف عصيب ، حيث تحيط بهم الأخطار من كل حدب وصوب وتتهدد كيانهم ووجودهم — فهناك المنافقون في المدينة وحولها ، وهناك حديثو العهد بالإسلام ممن قال الله — تعالى فيهم « قالت الأعراب آمنا . قل : لم تؤمنوا . ولكن قولوا : أسلمنا ، ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم » . وهناك الطلقاء من زعماء قريش في مكة المكرمة الذين قهرتهم قوة الإسلام . ثم هناك اليهود الموتورون الحاقدون ، وكذلك النصارى على التخوم الشمالية للجزيرة العربية ، وجيش أسامة بن زيد بن حارثة — رضي الله تعالى عنهما — على الانطلاق إليهم وأيضاً الفرس ، ثم ان هناك المتنبئين الكذابين ومنهم من مازالت فتنته قائمة كمسيلمة ، ومنهم من لم يمض غير وقت قصير بل أيام على القضاء على فتنته كالأسود العنسي .

قال محمد بن اسحاق : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم — : ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية لفقد نبيهم حتى جمعهم الله على أبي بكر — رضي الله تعالى عنه .(١)

ب صدى وفاته — عليه الصلاة والسلام في الجزيرة العربية :

ما إن انتشر خبر وفاته — صلى الله عليه وسلم — فى الجزيرة العربية حتى اضطربت فيها الأمور وظهر المنافقون وذوو الأطماع في الزعامة والملك والرئاسة والمال ، وقوي أمر من تكذب وتنبأ كمسيلمة الحنفي وطليحة الأسدي ، وسجاح بنت الحارث التغلبية وارتدت القبائل العربية ، ولم يبق مكان في الجزيرة العربية إلا وحدثت فيه فتنة وردة أو محاولة ردة ، حتى أن أكثر أهل مكة هموا بالردة لولا أن الله سبحانه كفّهم وخوّفهم بسهيل بن عمرو — رضي الله تعالى عنه — (١) وقد اختلفت المظاهر التي اتخذتها ردة كل قبيلة فمنهم من ادعى النبوة ، ومنهم تزندق ، ومنهم من امتنع عن دفع الزكاة ... وبقيت المدينة المنورة وحدها في وجه هذه الأمواج المتلاطمة من الفتن العاتية الطاغية .. فهي كسفينة فى وسط بحر هائج متلاطم الأمواج يريد أن يبتلعها ..

ج — صدى وفاته — صلى الله عليه وسلم — لدى العالم الخارجي ...

كان يسيطر على العالم خارج الجزيرة العربية إذ ذاك قوتان أو دولتان كبيرتان

١ — البداية والنهاية • جزء (٥) فصل احتضاره ووفاته عليه الصلاة والسلام ••

هما الدولة الرومية في الغرب والدولة الفارسية في الشرق . وتشكلان معسكرين متنافسين غربياً وشرقيا . تسيطر على الغربي منهما الدولة الرومية ، وعلى الشرقي الدولة الفارسية .

وكان التنافس بينهما مستمراً ومنذ قرون وأجيال ، إلا أنه توقف فجأة منذ أن أصبح للمسلمين كيان ودولة في المدينة المنورة تحت قيادة رسول الله — صلى الله عليه وسلم . وأصبح كل منهما يحسب لهذه القوة الناشئة ويستعد للانقضاض عليها ، إنما ينتظر الفرصة السانحة ، بل ان المعسكر الغربي الرومي بدأ يتحرش بالمسلمين على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فكانت غزوة تبوك ومؤتة . فلما توفي الرسول عليه الصلاة والسلام — أراد أن ينتهز هذه الفرصة لكن جيش أسامة بن زيد — رضي الله عنهما — كان له بالمرصاد .

أما المعسكر الشرقي الفارسي فقد تحرك هو الآخر حين سمع بنبأ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى : من يكفيني أمر العرب ؟ فقد مات صاحبهم . وهم الآن يختلفون بينهم ، إلا أن يريد الله بقاء ملكهم فيجتمعون على أفضلهم . (١)

لقد وجد الصحابة أنفسهم — رضي الله تعالى عنهم — يقفون وجهاً لوجه أمام محن قاسية شديدة وخطيرة ، ومهمات كبرى ومسؤوليات ضخمة تمتحن صلابتهم ووعيهم ، وتعجم عودهم وجدارتهم للقيام بالأمانة العظمى بعد نبيهم عليه الصلاة والسلام ..

هذه المحن والمهمات يمكن حصرها في نقاط ثلاث وهي :

١ — اجتماعهم . قبل كل شيء وبأسرع وقت على رجلٍ منهم خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم — .

٢ — الوقوف في وجه الردة الشاملة للجزيرة العربية والمرتدين ..

٣ — حمل الأمانة العظمى ، وتبليغ رسالة الله تعالى — إلى العالم كله وتحرير البشر بها ، وإيصال الإسلام إلى كل إنسان على ظهر الأرض وإزالة كل العراقيل والعقبات « سواء كانت هذه العقبات والعوائق شبهات تحاك ، وضلالات تزيّن ، أو كانت قوى طاغية تصد الناس عن الدعوة وتفتنهم في الدين .. » « حتّى لاتكون فتنة ويكون الدين لله » . (٢)

وسنتناول — بإذن الله تعالى — هذه النقاط في الاعداد القادمة .

---

١ — مختصر السيرة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣١٩ ط : ١ ..

٢ — فى ظلال القرآن للعالم الشهيد سيد قطب رحمه الله تعالى . ج ٦ ص ٢٩ ط : ٤

نقض القانون المدني

لفضيلة الشيخ إبراهيم جعفر السبعة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن اتبع سنته ، واقتفى أثره إلى يوم الدين .

لم يتخلف المسلمون عن ركب العالم نتيجة لتمسكهم بدينهم أو تعصبهم لإسلامهم وإنّما بدأ هذا التخلف يوم تركوا هذا التمسك بدينهم وتساهلوا فيه . وسمحوا للحضارة الأجنبية أن تدخل ديارهم ، وللمفاهيم الغربية أن تحتل أذهانهم وللقوانين غير الإسلامية أنْ تحكم بلادهم ..

بل من يوم أن حاولوا عقد صلات ومشابهات وموافقات بين نظامهم الإلهي الإسلامي والنظم البشرية الأخرى التي صاغها الناس لأنفسهم في معزل عن الله تعالى ذلك أنّ الإسلام لايعتزّ أن يكون بينه وبين النظم العالمية الأخرى مشابهة أو موافقة لأنه لن يزيد فضلاً ولا كمالاً بهذه النسبة أو المشابهة أو الموافقة لأنّ كماله المطلق في نسبته إلى صاحب الكمال المطلق وحده — وهو الله تعالى جلّ شأنه فالإسلام قدّم للبشرية نموذجاً من النظام الإلهي ولم يحاول أنْ يقلّد نظاماً من النظم بل اختار طريقه متفرداً فذاً ، وقدّم للإنسانية علاجاً إلهياً كاملاً لمشكلاتها جميعاً ولقد يحدث في تطور النظم البشرية — لا الإسلامية — أن تلتقي بالإسلام تارة وأنْ تفترق عنه تارة ومع ذلك فهو نظام مستقل متكامل لا علاقة له بتلك النظم لاحين تلتقي معه ، ولا حين تفترق عنه . فهذا الإفتراق ، وذلك الإلتقاء عرضيان ووليدة مصادفات . وفي أجزاء متفرقة ولا عبرة بالإتفاق والإختلاف في الجزئيات والعرضيات إنّما المعول عليه هي النظرة الأساسية والتصور الخاص وللإسلام نظرته الأساسية وتصوره الخاص . وعنه تتفرع الجزئيات فتلتقي أو تفترق معه جزئيات من النظم الأخرى ثمّ يمضي

الإسلام في طريقه المتفرد بعد كل اتفاق أو اختلاف لأن قاعدته الأساسية التي يقوم عليها تختلف كلياً عن القواعد التي تقوم عليها الأنظمة البشرية جميعاً فالإسلام يجعل السيادة لله وحده . فالأمر والحكم كله لله . وهو المرجع الأعلى في كل شيء والمصدر الوحيد لكل قانون أو دستور .

فالله تعالى وحده هو الذي يشرّع الأحكام في كل شيء ، وسائر الأنظمة والقوانين تقوم على أساس أنّ المشرع هو الإنسان فهو الذي يشرّع لنفسه وهما قاعدتان متناقضتان لا تلتقيان .

فالقانون الإسلامي يتجلى فيه قدرة الخالق ، وعظمته ، وإحاطته بما كان وبما هو كائن خلافاً للقانون الوضعي ومنه القانون المدني الذي نحن بصدد نقضه والذى يتمثل فيه نقص البشر وعجزهم ، وضعفهم ، وقلّة حيلتهم وعرضة قانونهم للتغيير والتبديل والتحريف كما سنرى ذلك جليّاً في وقوفنا ساعة مع القانون المدني لنكشف عن وجه الحق ، ونعرض فيها صواب الرأي بعمق واستنارة حتى تنجلي الحقائق ، ويبرز زيف الباطل فلعلّ مطبّقي هذا القانون يبصرون النور . فيثوبوا إلى الحق ويسيروا في طريق الهدى . ويدركوا مدى ماكانوا فيه من ضلال مابعده من ضلال ومن أحكام للطاغوت ولغير ما أنزل الله ، ويرون أن واجبهم حرب هذا القانون واستعاضته بقانون الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تعريف القانون :

كلمة القانون اصطلاح أجنبي معناه عندهم : الأمر الذي يصدره الحاكم ليسير عليه الناس وقد عرّف بأنّه : « مجموع القواعد التي يجبر السلطان الناس على اتباعها في علاقاتهم » وقد أطلق على القانون الأساسي لكل حكومة كلمة الدستور ، وأطلق على القانون الناتج من النظام الذي نصّ عليه الدستور كلمة القانون » وقد عرّف الدستور بأنّه « القانون الذي يحدد شكل الدولة ونظام الحكم فيها ، ويبين حدود واختصاص كل سلطة فيها » أو « القانون الذي ينظم السلطة العامة أي الحكومة ، ويحدد علاقاتها مع الأفراد ، ويبين حقوقها ، وواجباتها قبلهم ، وحقوقهم وواجباتهم قبلها .

هذه خلاصة الإصطلاحات الذي تعنيه كلمتا دستور وقانون وهو في خلاصته يعني أنّ الدولة تأخذ من مصادر متعددة سواء أكانت مصدر مصدراً تشريعياً أو مصدراً تاريخيا أحكاماً معينة تتبناها وتأمر بالعمل بها فتصبح

هذه الأحكام بعد تبنيها من قبل الدولة دستوراً إن كانت من الأحكام العامة . وقانوناً إن كانت من الأحكام الخاصة

ومن الجدير بالذكر أن هناك فرقاً بين الدستور الاسلامي والقوانين الاسلامية وبين غيرها من الدساتير والقوانين فإن باقي الدساتير والقوانين مصدرها العادات وأحكام المحاكم الخ ومنشؤها جمعية تأسيسية تسنّ الدستور ومجالس منتخبة من الشعب تسنّ القوانين لأنّ الشعب عندهم مصدر السلطات كما أنّ السيادة للشعب لديهم .

أما الدستور الإسلامي والقوانين الاسلامية فإن مصدرها الكتاب والسنة ومنشؤها اجتهاد المجتهدين حيث الحاكم يتبنى منهما أحكاماً معينة يأمر بها فيلزم الناس العمل بها لأنّ السيادة للشرع ، والاجتهاد والاستنباط الأحكام الشرعية حق لجميع المسلمين ، وفرض كفاية عليهم .

١ — نقض كلمة القانون المدني .

إن إطلاق اسم القانون المدني على هذا القانون إطلاق خاطئ لأنّه قانون ينظم علاقات الناس ، وهو قانون معاملات وليس هناك أيّ صلة بين لفظ المدني والمعاملات . فوصف القانون بأنّه مدني وصف غير منطبق على حقيقته لأنّ حقيقته أنّه ينظم علاقات الناس وهذه معاملات ولاصلة للقانون بالمدنية مهما أريد بها من معانٍ فإن أريد بالمدنية الرقي ضدّ التأخر فالقانون يوصف بأنّه ينظم العلاقات وبأنه قانون معاملات وقد يكون راقياً وقد يكون غير راق .

فالقانون الفرنسي الذي وضع في أيام نابليون قد ظهر للفرنسيين فساده وتأخره ووضع بدله قانون مدني جديد ومع ذلك لايزال يسمى القانون المدني ، والقانون الروماني ظهر فساد نظرياته ومع ذلك لايزال يقال عنه القانون المدني وليس المراد من وصف القانون بالمدني بيان كونه راقياً أو غير راق بل المراد بيان حقيقته بأنّه وضع لينظم المعاملات ولذلك لاعلاقة مطلقاً بين المدنية وبين المعاملات .

وإن أريد بالمدنية النسبة إلى المدينة فالقانون لم يوضع للمدينة فقط وإنّما وضع للمدينة والقرية ومضارب البدو فتخصيصه بالمدنية لاوجه له مطلقاً . وإن أريد بالمدنية الأشكال المادية المحسوسة فهي عاجلية وهي ليست المنظمة للعلاقات ، فلا علاقة للقانون بالأشكال والصناعات وعليه فلا وجه لتسمية القانون بالقانون المدني ولا لوصفه بأنّه مدني بل هو قانون معاملات.

١ - نقض الأصل الفقهي للقوانين المدنية

« إنّ القانون المدني من حيث هو لدى جميع التقنينات اللاتينية (١) والجرمانية (٢) والمتخيرة (٣) يقوم على نظرية الإلتزام ، ويبنى كله في إجماله وتفصياله عليها ، وبما أنّ هذه النظريات فاسدة من أساسها .

لذلك كان القانون المدني كله فاسداً وهاكم البيان :

لقد عرف القانون المدني بأنّه : « القانون الذي ينظم علاقات الأفراد بعضها ببعض » وقسم إلى قسمين رئيسيين : قسم الأحوال الشخصية . وقسم المعاملات .

فقواعد الأحوال الشخصية هي التي تنظم علاقة الفرد بأسرته .

وقواعد المعاملات هي التي تنظم علاقة الفرد بغيره من الأفراد من حيث المال وعرف الحق في المعاملات « بأنه مصلحة ذات قيمة مالية يقررها القانون للفرد » وقسم الحق إلى قسمين رئيسيين حق يتعلق بعلاقة الشخص ويسمى « الحق الشخصي » وحق يتعلق بعلاقة الشخص والمال ويسمى الحق العيني والحق الشخصي في نظرهم رابطة مابين شخصين دائن ومدين .

والحق الشخصي هو الالتزام وعلى أساسه عولجت المعاملات الشخصية مثل الحوالة والبيع والمقايضة والشركة والهبة والصلح ، والإجارة والعارية ، والوكالة والوديعة . والرهان ، والكفالة .

والحق العيني هو ليس علاقة في نظرهم وإنما هو سلطة أعطاها القانون لشخص معين على شيء معيّن وعلى أساسه عولجت المعاملات العينية مثل حق الملكية ، وأسباب كسب الملكية ، ورهن المنقول ، والرهن العقاري والتأمين على الحياة ، وحقوق الامتياز.

هذا هو الأساس الذي يقوم عليه القانون المدني ، .. وهذا الأساس فاسد من عدّة وجوه !

أ - إنّ الحق في المعاملات ليس مصلحة

(١) التقنين اللاتينى ماخوذ عن التقنين الرومانى واول ما وضع من القوانين اللاتينية القانون الفرنسى ثم قلدته قوانين متعددة ومن التقنينات اللاتينية القانون الاسبانى ، والقانون الايطالى ، وقوانين امريكا الجنوبية .

(٢) التقنين الجرمانى ، وقد تحرر من النظريات الرومانية ،وغلب النظريات الجرمانية الاصل وهو يخالف فى نظرته الاساسية التقنين اللاتينى ، ومن التقنين الجرمانى القانون الالمانى والنمساوى والسويسرى .

(٣) التقنينات المتخيرة ، وهى التقنينات التى استقت من كلتا المدرستين اللاتينية والجرمانية ، وحاولت اخذ محاسنهما ومن هذه التقنينات القانون البولونى ،والقانون البرازيلى .

ذات قيمة مالية بل هو مصلحة مطلقة فقد تكون ذات قيمة مالية وقدلاتكون ذات قيمة مالية فتخصيص الحق بالمصلحة ذات القيمة المالية يؤدى إلى شيئين .
أحدهما : أنّه لايشمل المصالح ذات القيمة المعنوية مثل – الكرامة والشرف لأنّه لاقيمة مالية لها ، ولا يمكن تقديرها بقيمة مالية على الإطلاق ، ولذلك كانت نظرية التعويض على القذف خاطئة

وثانيهما : أنّ تقدير الأشياء بالقيمة المالية يحتاج إلى وحدة تكون أساساً للتقدير ، والحق هو ذاته أساس ولا يمكن إيجاد وحدة لتقدير قيمته ، ولذلك كان تعريف الحق على هذا الوجه فاسداً .

ب – إنّ تقسيم الحق إلى قسمين :

حقّ عيني ، وحق شخصي لاوجه له ، ولا يوجد فرق بين ما أطلقوا عليه اسم الحق الشخصي ، وما أطلقوا عليه اسم الحق العيني ، ولا يوجد فرق بين المعاملات التي فرّعوها عليها ، فلا يوجد فرق بين الإجارة ورهن العقار فكيف جعلت الإجارة من الحق الشخصي ، وجعل الرهن من الحق العيني على أنّ التعريف نفسه فرضي وليس حقيقياً .

فحين عرفوا الحق بأنّه سلطة معينة يعطيها القانون لشخص معين على شيء معين لم يفهم من هذا التعريف مطلقاً أنّ العلاقة ناشئة بين الشخص والشيء بل هي علاقة ناشئة بين الشخص والشخص وموضوعها الشيء فالعلاقة مابين شخصين موجودة في الحق العيني وحين عرفوا الحق الشخصي بأنّه رابطة بين شخصين – دائن ومدين يخول الدائن بمقتضاها مطالبة المدين بإعطاء شيء أو بالقيام بعمل أو بالامتناع عن عمل .

حين عرفوا الحق الشخصي بذلك لم يفهم من هذا التعريف نفي وجود علاقة بين الشخص والشيء لأنّ موضوع العلاقة هو الشيء الذي نشأت من أجله الرابطة بين الشخصين فتكون هناك رابطة بين الشخص والشيء في الحق الشخصي ، وهو كالحق العيني عنصر من عناصر الذمة المالية يتصرف فيه صاحبه بالبيع والرهن سواء ولذلك كان هذا التقسيم غير وارد ومخالفاً للواقع والحقيقة .

الإلتزام :

« إنّ الحق الشخصي أي الإلتزام يقوم على رابطة قانونية مابين الدائن والمدين وقد كانت هذه الرابطة التي يقوم عليها الإلتزام تعطي للدائن على جسم المدين

لا على ماله وكان هذا هو الذي يميّز بين الحق العيني والحق الشخصي .

فالأوّل سلطة تعطي للشخص على شيءٍ ، والثاني سلطة تُعطى للشخص على شخص آخر وبناءً على ذلك كانت سلطة الدائن على المدين سلطة واسعة يدخل فيها حق الإعدام ، وحق الاسترقاق . وحق التصرف ثمّ ظهر فساد هذه النظرية فلجأوا إلى تخفيف السلطة حتّى صارت مقصورة على التنفيذ الذي يقول به القانون المدني وهو حبس المدين مثلا ثمّ صار التنفيذ على مال المدين لا على شخصه بالحجز مثلاً وأصبح للالتزام منذ عهد الرومان مظهران :

مظهر باعتباره رابطة شخصية فيما بين الدائن والمدين .

ومظهر باعتباره عنصراً مالياً يقوم حقاً لذمة الدائن ، ويترتب في ذمة المدين وعلى ذلك ظهر فساد نظرية الإلتزام ففسرت هذا التفسير حتى تكون لها ناحية شخصية وناحية مالية فأدى ذلك إلى أن ينشأ اختلاف في الإلتزام فنشأ مذهبان أحدهما يغلب الناحية الشخصية للاحتفاظ بالنظرة الأصلية للقانون الروماني ، وهذا ما سارت عليه التقنينات اللاتينية والآخر يغلب الناحية المالية ، ويجردها من الناحية الشخصية ويتحرر من القانون الروماني ، وهذا هو ماسارت التقنينات الجرمانية ، وبذلك صارت نظرية الالتزام تفهم فهماً شخصياً عنداللاتينيين ويترتب على هذا الفهم عدم لحاق المال والاقتصار على الشخص ، ولذلك لم يجيزوا حوالة الدين وأخذ بذلك القانون الفرنسي القديم .

وصارت نظرية الإلتزام تفهم فهماً مادياً عند الجرمانيين ويترتب على هذا الفهم لحاق المال وليس الشخص ، ولذلك أجازوا حوالة الدين فكان في الإلتزام مذهبان :

المذهب الشخصي ، والمذهب المادي ولكل وجهة نظر تخالف الآخر .

فالمذهب الشخصي يرى أنّ الأمر الجوهري في الإلتزام هو أنّه رابطة شخصية فيما بين الدائن والمدين، ويترتب على هذا أن لاتدخل فيه معاملات كثيرة منها أنه لاتدخل فيه الكفالة ، ولايدخل فيه الوعد بجائزة وما شاكل ذلك من المعاملات فيكون مذهباً قاصراً لأنّه لا يشتمل المعاملة التي تنشأ من جانب واحد والمذهب المادي يرى أنّ العبرة في الإلتزام بمحله دون أشخاصه وأنّ الرابطة الشخصية ليست هي الأمر الجوهري ، ويترتب على هذا أنّه يجوز وجود معاملة إذا وجد المال وحده

دون شخص ، وجعل العلاقة الشخصية غير ضرورية وهذا لايجوز إذ لاتتصور أيّ معاملة تحصل دون وجود شخص آخر حتى الكفالة ، والوعد بجائزة ، وعقود التأمين لمصلحة الغير والسند لحامله

وكان المذهب الثاني غير واقع — هذا بالنسبة لنشوء فكرة الإلتزام .

أما بالنسبة لتعريف الإلتزام فقد وجدت له عدّة تعاريف وكلّها تدور حول جعل محل الإلتزام إعطاء شيء أو القيام بعمل أو الامتناع عن عمل فقد عرف الإلتزام بأنه اتفاق يلتزم بمقتضاه شخص أو أكثر نحو شخص آخر أو أكثر بإعطاء شيء أو بالقيام بعمل أو بالامتناع عن عمل ، وهذا يعني جعل الالتزام اتفاقاً ، وهذا التعريف لايشمل المعاملات التي لايوجد فيها اتفاق وعرف الإلتزام بأنّه « حالة قانونية بمقتضاها يجب على الشخص أن ينقل حقاً عينياً أو أن يقوم بعمل أو أن يمتنع عن عمل » وهذا التعريف جعل الإلتزام حالة قانونية مع أنّ حقيقته هو علاقة يقرّها القانون ، فتعريفه بحالة قانونية يجعله فضفاضاً غير مانع من دخول حالات قانونية لا صلة لها بالالتزام .

هذه خلاصة الإلتزام بوجه عام وهذا كلّه خطأ محض ؛ إذ لا يوجد في الموضوع التزام لا بالمعنى الشخصي ولا بالمعنى المادي ، لأنّ المسألة ليست رابطة بين دائن ومدين ولا يوجد هذه الرابطة مطلقاً ، ولا هي رابطة بين شخص ومال أو سلطة لشخص على مال مطلقاً ، وإنما الموضوع يتلخص في أنّ هناك علاقة بين شخصين موضوعها المصلحة وقد تكون مالاً وقد تكون غير مال وقد تكون العلاقة عند الإنشاء وقد تكون عند التنفيذ وهذه العلاقة يوجدها جلب مصلحة أو رفع مفسدة للإنسان . وينظمها القانون فالبيع علاقة بين شخصين عند الإنشاء موضوعها المال والوعد بإعطاء جائزة لمن عثر على ضائع علاقة بين شخصين عند التنفيذ موضوعها المال ، والزواج علاقة بين شخصين موضوعها المصلحة وهي هنا ليست المال ، وعلى ذلك فالالتزام بالمفهوم الذي ذكره القانون المدني غير موجود لا بالمذهب الشخصي ولا بالمذهب المادي والالتزام من حيث هو بالمعنى الذي أرادوه وهو الحقوق الشخصية غير موجودة وعلى ذلك ليست المعاملات سلطة من شخص على مال ، ولا هي رابطة شخصين ، وإنما هي علاقة بين شخصين موضوعها المصلحة التي يقرّها القانون ، وينطبق ذلك على المعاملات التي تحصل بين شخصين عند الإنشاء كالاجازة أو بين شخصين عند

التنفيذ كالوعد بجائزة لمن يقوم بعمل .
وإذا كان الأمر كذلك كان الالتزام بأكمله غير موجود فضلاً عن كونه بالمعنى الذي أوردوه غير صحيح لافيما ورد بالمذهب الشخصي ، ولا فيما ورد بالمذهب المادي ولذلك كان القانون المدني ترتب على الإلتزام وبني عليه قانوناً غير صحيح .

نظرية الإلتزام :

تعتبر نظرية الإلتزام أهم النظريات الفقهية في التقنينات الغربية جميعها والناظر في الفقه الغربي وفي التقنينات جميعها يستدل من العناية الكليّة بها على مالها من شأن وخطر فهي من القانون المدني بل من القانون عامة بمثابة العمود الفقري من الجسم ، وهي في نظرهم أصلح النظريات القانونية ميداناًللتفكير وأفسحها مجالاً للتعميم وأخصبها تربة لانبات القواعد العامة ويرونها بأنها أولى النظريات قابلية للتوحيد في شرائع الأمم المختلفة ولذلك يجعلونها الأصل الذي يتفرع عنه القانون المدني فإذا ظهر فسادها وعدم صلاحها تبين بوضوح فساد جميع التقنينات التي بنيت عليها وظهر فساد جميع القوانين المتفرعة عنها ولا سيّما القانون عنهاولاسيما القانون المدني الذي هو في حقيقتهنظرية الإلتزام وفروعها ، والناظر في هذه النظرية يجد أنها كانت منذ عهد الرومان وأنّ جميع التقنينات نقلتها عن الرومان واستعملتها في أوّل الأمر دون تغيير يذكر ، لكن لما بدأت مشاكل الحياة تتجدد ظهر فساد هذه النظرية للذين نقلوها وبرز لهم عدم صلاحيتها فاعتبروا هذا الفساد قصوراً عن الإحاطة بالمشكلات ، وأخذوا يغيرونها زاعمين أنها تتطوّر .

والحقيقة أنّ هناك عوامل متعددة أبرزت فساد النظرية وأثرت عليها حتى تغيّرت كثيراً ، وتبدلت على مختلف العصور ، فالنظرياتالاشتراكية التي ظهرت في أوربا قبل ظهور المبدأ الشيوعي أظهرت عدم صلاحية نظرية الالتزام فاضطر الفقهاء لأن يغيروا نظرتهم للالتزام ، فعقد العمل قد أدخلت عليه قواعد وأحكام تهدف إلى حماية العمال وإلى إعطائهم من الحقوق مالم يكن لهم من قبل كحرية الإجتماع وحق تكوين النقابات وحق الإضراب، ونص نظرية الالتزام الرومانية لايبيح إحداث مثل هذه القواعد ، ولا يبيح مثل هذه الحقوق .

ونظرية العقد ذاتها كانت قوّةالإلتزام فيها تبنى على إرادة الشخص فصارت تبنى على التضامن فى الجماعة أكثر مما تقوم على إرادة الفرد .

وهذه نظرية الغبن لم تكن موجودة بل لم تكن نظرية الإلتزام تجيزها فقد كانت النظريات الفردية تقضي بوجوب ترك الفرد حراً في تعاقده يلتزم بما أراد مهما أصابه من غبن في ذلك ولما تبين فساد هذه النظريات أدخلت نظرية الغبن على بعض العقود ثمّ أخذت تتسع حتى أصبحت في القوانين الحديثة نظرية عامة تنطبق على جميع العقود . وهكذا كان لنشوء أفكار عن الحياة تخالف الأفكار القديمة أثر في بيان نظرية الإلتزام ولم يقتصر الأمر على ذلك بل كان استعمالها مختلف الآلات الميكانيكية وتقدم الصناعة ووجود حروب عالمية قد أوجد مسائل عملية تبرز فساد نظرية الإلتزام إذ أن استعمال الآلات اقترن بمخاطر جمّة يستهدف لها الناس ولم تكن نظرية الإلتزام تجعل المسؤولية إلاّ على الشخص ، فظهر عدم صلاحيتها ووضعت المسؤولية على الخطأ المفروض ، وصار إلحاق أيّ أذى في العامل يلزم صاحب العمل بالتعويض وهذا لا تقتضي به نظرية الإلتزام ، وصار عقد التأمين لايقتصر على الشخص بل يشمل الغير فوجدت نظرية الإشتراط لمصلحة الغير كما أذا أمّن شخص على حياته لمصلحة أولاده سواء أكان له أولاد وقت التأمين أم لم يكن له أولاد حين التأمين وهذا يخالف نظرية الإلتزام بأنها رابطة بين شخصين ، والأولاد الذين لم يوجدوا لا يدخلون في هذه الرابطة مع أن العقد أصبح يدخلهم ، وعلاوة على ذلك فإنّ نظرية الوفاء بعملة نقص سعرها ، وفى التسعير الجبري للسلع والتقدير الجبري للأجر ، وفي عقود التزام المرافق العامة ما يناقض نظرية الإلتزام ومع ذلك أدخلت في القوانين الحديثة وهي تدلّ على فساد نظرية الإلتزام وعدم صلاحها ، وزيادة على ذلك فإنّ النظرية التي تقضي بأنّ الغش يفسد العقد ، والقاعدة القائلة بأنّه لايجوز الاتفاق على ما يخالف الأداب ،والنظام العام والإلتزام بوجوب الامتناع عن الإضرار بالغير دون حق والإثراء بلا سبب الذي يمنع الشخص أن ينتفع على حساب غيره كل ذلك يخالف نظرية الإلتزام ويدل على فسادها لأنها تقييد وليس حريّة ، وهي تناقض الحق الشخصي وتهدمه على اعتبار أنّه حق مطلق غير مقيّد على أنّ الإلتزام من حيث هو باعتباره الحق الشخصي ، وباعتباره الحق العيني يقوم على رابطة قانونية بين الدائن والمدين توجب على الشخص أن ينقل حقاً ، وهذا يعني عدم اشتراط الرضا بالحوالة دون رضا المحال

عليه بحوالة الحق ، وعدم اشتراط رضا الدائن بحوالة الدين لأنّ الحالة القانونية في الإلتزام تلزم الشخص بنقل الحق عيناً أو ديناً ، وهذا لا يضمن تحقيق العدل ولذلك ظهر فساده فمجرد تبليغ المحال عليه لايكفي بل لابدّ من قبوله لأنّ العقد في الحوالة — كما في غيرها — يجب أن تكون برضا أطراف العقد .

هذا إجمال في نظرية الإلتزام ، ومنه يتبين أنها لاتصلح ميداناً للتفكير لأن كثيراً من أنواع العلاقات بين بني الإنسان لايمكن استنباطها منها بل على العكس هي تمنع استنباطها مثل كون الغش يفسد العقد وهي لاتصلح لأن تكون مجالاً للتعميم لأنّ المسؤولية على الخطأ المفروض وحوالة الدين ، والاشتراط لمصلحة الغير والإرادةالمنفردة وما شابه ذلك لايمكن أن تشملها لا بمنطوق ولا بمفهوم ولذلك فهيقاصرة وهي لاتصلح لانبات قواعد عامة بدليل وجود نظريات وقواعد عامة تناقضها مثل قاعدة عدم جواز الاتفاق على ما يخالف الأداب والنظام العام ومثل نظرية الغبن في العقود وليس فيها قابلية للتوحيد في شرائع الأمم بدليل ظهور قصورها وعجزها حين ظهرت النظريات الاشتراكية . رغم كونها فاسدة وحين تقدمت الصناعة وهي من أساسها خاطئة لأنها تقوم على حرية الملكية والحرية الشخصية ، وهذه الحرية للشخص وفي الملك هي التي تسبب الفساد بين الناس وهي التي تمكن من الاستقلال والاستعمار لأنّ إعطاء الحرية في التملك وإعطاء الحرية الشخصية يحميه القانون حين بني على نظرية الالتزام وفي ذلك الفساد والشقاء .

والذي يبرز فساد نظرية الإلتزام أيضاً تعريف مصدر الإلتزام وترتيب مصادر الالتزام الذي ذكرتها التقنينات القديمة والحديثة كما سنرى في الحلقة المقبلة من هذا الموضوع بمشيئة الله تعالى . ذلك جليّاً .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

●●●



إعداد العلاقات العامة

إن سن الدراسة الجامعية من الثامنة عشرة إلى الرابعة والعشرين هى فترة الغرس والرعاية وتكوين الانسان لمبادئه وفيها يتعرض أيضاً لمختلف التيارات الفكرية ولكننا نبعث شبابنا إلى العدو ليعيدوهم خنجراً مسموماً فى صدورنا بعد أن يميتوا أواصر المحبة بينهم وبين أهلهم ، تلك الفترة التي يجب فيها إعداد الشاب المسلم على منهاج واضح متين .

إنها نظرة الاعجاب التي نحملها للغرب جعلت من الآباء عندنا يعتقدون بأن العلم الصحيح والتدريس الجيد ماهو إلا فى جامعات الغرب أضف إلى ذلك المركز الاجتماعي المرموق الذي هيأه المستعمر لحاملى الشهادة الأوربيـــة والأمريكية (حديثاً) واستمر هذا حتى بعد رحيل الاستعمار حسب تخطيطه .

فقرات من مشاهدات عائد من أمريكا (الحلقة الثالثة) مجلة المجتمع .

وهناك إنسجام وتفاهم تامين بين فريق من رجال العصابات والشيوعيين في حقل ترويج المخدرات ، والتعاون على إنتزاع الاسرار العسكرية ومعرفة مواقع الانشاءات التي تنوي حكومـــة واشنطن إقامتها فى الاسكا والحصول على تصاميمها . وعلى الرغم من طول المسافات الشاسعة التي تفصل الاسكا عن الولايات المتحـــدة ، فـــإن الاعمال الاجرامية والموبقات قد سبقت المدنية إلى تلك البلاد وإستشرى شرها فـــى السنين الأخيرة بشكل فاضح .

ومن الأمور الطبيعية أن تسمع بحوادث تشليح على قارعة الطريق ، وسرقات علنية ، وإقتحام المنازل بقوة السلاح، وهذه الأعمال يقوم بها الجنود وفريق من المدنيين المغامرين .

فقرات من موضوع (فضـــائح) « الامبراطورية الاميركية » المنشور فى كتاب أميركا دولة تحكمها العصابات .

ولقد أحدث الشيخ على عبد الرازق « ثلمه » فى الاسلام سيظل يحمل وزرها أمداً طويلا فلأول مرة يجرؤ عالم أزهري مسلم إلى القول بأن الاسلام دين روحي وأنه لاصلة له بنظام الحكم مهما كان سياق الدعوة أو ظروفها السياسية أراد أن يخدم بها حزب الأحرار الدستوريين أو الانجليز أو المعارضين الملك فؤاد فإنه فى سبيل غاية هينة قد إستخدم نصوصاً أراد بها أن يحجب حقيقة أساسية هي أن الاسلام نظام مجتمع ومنهج حياة متكامل فمنذ ذلك اليوم يكتب المستشرقون فيقولون : إن فى الاسلام نظريتين : إحداهما تقول بأن الاسلام دين ودولة والأخرى تقول أن الاسلام دين روحي وصاحب هذه النظرية هو علي عبد الرازق ومن سار على طريقه من بعده ومن خريجي الأزهر أيضاً مع الأسف .

من مقال نظريات واحدة كشف الفكر الاسلامى زيفها للأستاذ أنور الجندى .

فالتخوف من الاكتساح الماركسي ، لم يعد مناسبا للمرحلة الراهنة من الصراع الاسلامي الماركسي ، لأن الاسلام لم يعد الآن فى قفص الاتهام ، أو فى طور الدفاع ، لظهور حركة بعث إسلامي تستهدف إستئناف الحياة الاسلامية

ولهذا السبب لم يعد يسوغ للاسلاميين أن يكتفوا ببيان محاسن الاسلام ، وببيان تناقضه مع الماركسية وإنما أصبح من اللازم عليهم أن يقوموا بهجومات مضادة تدعم مسيرة الحركة الاسلامية المعاصرة على أساس تقييم جدى لامكانيات نجاح الماركسية وعوامل إخفاقها .

فقرة من مقال الاسلام الواحد والماركسيات المتعددة ـ للأستاذ عبد الواحد الناصر مجلة الحق العدد الأول السنة السابعة عشر .

حركات نسائية مريبة

جاء فى جريدة الأهرام فى ١٥ ـ ٤ ـ ٧٥ م تحقيق صحفي عن جريدة نيويورك تايمز الأمريكية تحت عنوان « الجريمة النسائية زادت مع نمو حركة تحرير المرأة فى أمريكا » .

تقول الجريدة : خرج أخيراً تقرير عن مكتب التحقيقات الفيدرالية بالولايات المتحدة يشير إلى أن معدل الجريمة بين السيدات أو الجريمة النسائية ارتفع ارتفاعاً مذهلاً مع نمو حركات التحرر النسائية .

وأن الاعتقالات بين السيدات زادت بنسبة ٩٥ ٪ منذ سنة ١٩٦٩ م بينما زادت الجرائم الخطيرة بينهم بنسبة ٥٢ فى المائة هذا علاوة على أن أخطر

عشرة مجرمين مطلوب القبض عليهم كلهم من السيدات ، ومن بينهن شخصيات ثورية اشتركن في حركات التحرر النسائية مثل جين البرت ، وبرنادربن دورن .

ووراء ربط ارتفاع نسبة الجريمة بين السيدات بحركات التحرر النسائية وجهة نظر تقول : إن منح المرأة حقوقاً ومساواتها بالرجل يشجعها على ارتكاب نفس الجرائم التي يرتكبها الرجل . بل إن المرأة التي تحرر تصبح أكثر ميلا لارتكاب الجريمة .

هذا ما جاء بالنص بالجريدة المذكورة يتبعها وجهات نظر متعددة تتضمن سؤالا في نفس التقرير ، والسؤال الآن إذا لم تكن حركات التحريرالنسائية هي المسئولة عن ارتفاع نسبة الجريمة بين الأمريكيات فأين تقع المسئولية ؟ .

ونحن نضيف إلى هذا — البحث — الذي كتبه الدكتور يوسف مراد عن سيكاولوجية الجنس ... يؤكد الباحث في كتابه أن النساء اللاتى يتزعمن الحركات النسائية غالباً مايكون بهن شذوذ بصورة ما دفعتهن إلى الخروج عن طبيعتهن النسوية أو انحدرن من أسر شاذة .

وقد استمعنا إلى واحدة من زعيمات الحركة النسائية في مصر ، وترأس تحرير مجلة نسائية ، بصوتها الشبيه بصوت الرجل ، قالت هذه السيدة :

أنها كانت تعجب بالرجال في فترة مراهقتها ولا بأس أن تحب واحداً بعد الآخر ، وفى شهادتها المدرسية رسبت في الأخلاق ، ولو امتد الحديث عن زعيمات أخريات وآفاق أوسع لرأينا الهول الشديد عن حياتهن الخاصة . هذه حجارة نلقمها أفواه الرجال والنساء الذين ينادون بحرية المرأة في جميع المجالات ويحتفلون بالسنة الدولية للمرأة ، وهم في الواقع أعداؤها ، وقد أخرجوها من مملكتها في المنزل عارية الساقين والذراعين .. حشروها فى زحمة المواصلات تنهشها العيون الزائغة ، وغرائز الشباب الملتهبة في الشوارع والمكاتب ومحال العمل فكان ماكان ، وسيأتي ماهو أسوأ خيانات زوجية بالجملة . جيل ممزق ينشأ بدون رعاية أسرية أو جو أسرى صحي مشاكل طلاق ، وخراب بيوت ، إلا من عصم الله . ومع هذا نجد صحفياً يطالب بأن تحتل المرأة مناصب أكبر في الوزارة ؟

نحو مجتمع أفضل

قبل بضعة أيام أذاع راديو لندن ترجمة للخطاب الذي وجهه رئيس أساقفة كنيسة كانتربرى للشعب الانجليزي

وعند سماعي لهذه الترجمة لم أكن أصدق ما أسمع .

فللمرة الأولى في حياتي بالرغم من قضائي عدة سنوات خلت في الغرب أثناء دراستي الجامعية لم أسمع انسانا غربياً في هذا المستوى يحاول ايقاظ ضمائر شعبه للتنبه لهذا المستوى من الانحطاط والفوضى الخلقية التي تعيشها المجتمعات الغربية .

لقد أعلن رئيس أساقفة كانتربرى فى خطابه إلى الشعب الانجليزي أن أهم أسباب انهيار المجتمع الانجليزي وضعفه وتفككه يعود لعاملين مهمين هما :

. اندثار الأخلاق .

. اضمحلال الجانب الروحي لدى الانسان الانجليزي .

ونبه شعبه إلى أن الاهتمام والتركيز على النواحي المادية فحسب سوف يؤدي إلى النهاية المحتومة لبريطانيا واندثار حضارتها وضياعها إلى الأبد . وأكد رئيس أساقفة كنيسة كانتربرى أن الاهتمام بالامور المادية يجب أن يصاحبه باستمرار اهتمام متكافئ بالنواحي الخلقية والروحية . وربط بين انحلال الشباب وتفشي الجريمة والعنف وانهيار الأسرة بالاهتمام الطاغي الوحيد بالنواحى المادية للحضارة وتجاهل أهمية الاخلاق والروح في المحافظة على توازن النفس والسلوك والتصرفات البشرية .

وفي الختام دعا رئيس الأساقفة شعبه إلى الوقوف ملياً لتأمل الواقع المرير الذي يعيشونه والمستقبل المظلم الذي ينتظرهم إذا سارت الأمور على ماهي عليه من الانحلال والضياع . واتخاذ خطوات سريعة لرأب الصدع واجراءات جذرية لتصحيح المسيرة وذلك باعادة الاهتمام بالنواحي الخلقية والروحية في تربية النشء .

عن مجلة المجتمع الكويتية



جراح الإسلام

شعر: محمد المجذوب

قد أبت مقلتاي إلا جمودا « فانقصا من ملامتي أو فزيدا »
واعذراني إذا وَجِمتُ فلم أر ثِ عزيزا ولم أؤبّن شهيدا
كثر الموت في الأحبة حتى فقد الموت وقعه المعهودا
ليت شعرى ماذا يقول بليغ في خطوب سدّتِ عليه الوجودا
أفلا تسمعان أنباء لبنا ن ، وبعض الأنباء يفرى الكبودا
غرقت بالدماء أكنافه الخضرُ فباتت ، وهي الجنان ، حصيدا
وبأرجائه تناثرت الها م فغطّت سفوحه والنجودا
وسرت في ربوعه النار تنقضّ على الناطحات حتى تبيدا
والصواريخُ زلزلت كل راسٍ وأحالتْ عطر الحياة صديدا
انها غدرة الصليبية الرعنا ء أوحى طغاتها أن تعودا
قد تولىّ إيقادها أمس « اربا نُ » ليغدو التوحيدُ فيها وقيدا
وهي اليوم في قيادة « إيبير » و « شمعون » تستجدّ الحقودا
ألبتْ كلّ مجرم كره الحق وقد جاز في السّفاه الحدودا
ثم ساقت أوسابهم باسم « مارو نَ » — على رغمه — كتائب سودا
لا ترى في سوى القضاء على الاسلا م والمسلمين دينا سديدا
ولكم عاقدت وسيطاً على السلم وفي لحظة تخون العقودا
فهي لا ترتوي مدى الدهر الا أن ترى الكل هالكا أو شريدا
فتن يستطار من هولها اللبّ ويرتد دونها مهدودا
تتداعى في غمرها ذكرُ الصلبا نِ تُزجي على حمانا الجنودا
تتوالى أشباحُها حاملاتٍ كلّ ضرب من الخطوب فريدا
منذ « فرناندَ » لاتزال إلى « مر كوس » يأبى لها البغاة خمودا

كلما قيل قد خبت هبّ ذوضغنٍ — فأذكى أوارها تجديدا

غير أن الاسلام ظل على رغم — العوادي كالدهر غضّاً جديدا

لم يزده ، ولم يزد جنده إلا — برارً ، كيد الفجّار الا صمودا

ولعمري ما كان للغدر أن ير — نو لِنصرٍ في أمتي أو يسودا

لو توخّى الحكام فيها سبيل الر — شد واستلهموا الكتابَ المجيدا

بَيْدَ أن الاسلام بُدِّلَ – والهفا — عليه – بعد الأسود قرودا

فتحوا للبغاة أسواره الشُّمَّ — وشدوا على بنيه القيودا

وتباروا في حربهِ ، فهو منهم — في بلاء يجاوز التحديدا

يالقومي .. أليس فيهم رشيد — أم تراهم قد استطابوا الرقودا !

شُغِلوا بالخلاف ، والخصم يقظا — نُ لتمزيقهم يُعدُّ الحشودا

وإذا حثهم على الوعي هادٍ — رجموه ، أو أوسعوه صدودا

جلُّهم أسلَم الزمَام لشيطا — ن ،ويأبى عن وحيه أن يحيدا

ومحال أن يضمرَ الكُفر للإيما — نِ يوماً الا الهلاك الأكيدا

هل دَرَوا أن كلَّ غزوٍ على الاسلا — مِ منهم قد استمدّ الوقودا !

تَركُنا القدسَ تستغيث وبيرو — تَ تهاوى ليس العقوقَ الوحيدا

فبتايلاندَ والفليبين الا — فُ المآسي لمن إراد شهودا

وبتركيَّةَ الشقيقة ماينفكُّ — جرح الاسلام ثراً جديدا

طعنةُ « الدونمي » في قلبه البَرِّ — إلى الآن لم تجِدْ تضميدا

حطّمت دوحَة الخلافةِ فانبتَّ — إخاءٌ كان الرباط السعيدا

فغدونا مُذْ يومِها في صراعٍ — ليس يألو في عقدنا تبديدا

وضحايا الإلحادِ في « مقدشو » هز — زتْ بأحداثها الجسام الوجودا

ردّدت هولها العواصم إنكاراً — ولم تلف بيننا مردودا

بل بذلنا للقاتلين الملا — يينَ ليزداد غيُّهم تصعيدا

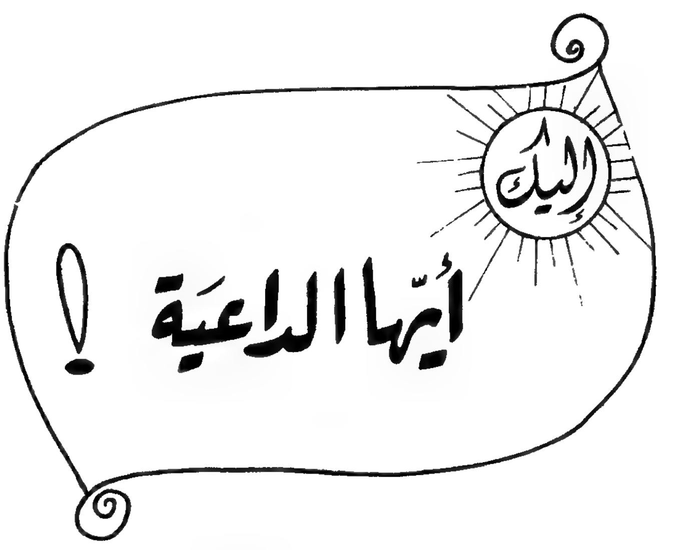
وبصحراء مغرب العرَب اليو — مَ أعاجيبُ قد تُشيب الوليدا

أدركتها انتفاضةٌ حققَ الله — بها للأباة فتحاً مجيدا

فاذا الإخوة الأولى أعلنوا الحَيْـدَ ... ةَ عـادوا فأعلنـوا التهديـدا
ثم لم يكتفـوا فصبُّوا عـلى المغـ ... رب مـا لايسرّ إلا الكنـودا
عُصَبٌ مـن ذئابٍ كوبـا وفتنا ... م بتحريضهـم تـدكّ الحـدودا
كلمـا أهرقـت دمـاً عربيـا ... باركوهـا وصفّقـوا تأييـدا
محنٌ تُضحك الغـويّ ، وتستبكي ... بأبعادِهـا الحليمَ الرشيـدا
لو مضينـا في سردها عَجَزَ العقلُ ... ولم يستطـع لهـا تحديـدا
سلبتنـا السَّدادَ حتى لنَرضى ... كلَّ زيـغٍ ونرفض التسديدا
فأبحنـا أرحامَنَـا لِمُـدى البغي ... ولم نرعَ فـي الإخـاء العهـودا
وأضعنـا حـقّ الإباء ، وآثـرْ ... نـا على أهلنـا العـدو اللـدودا
ولـذلك اشرأب كـلُّ غشـوم ... لأذانـا وراح يبغـي المزيـدا
وهو أوهى من أن يسوقَ لنا الرَّو ... عَ لَوَنَّـا سُقنـا اليـه الوعيـدا
أيّ حولٍ يبقى لعـادٍ إذا نحـن ... منعنـاه نفطَنـا المنشـودا !
ومطايـا « مارونَ » لو قد حجبنا ... عنهـمُ رِفدَنـا لخرّوا سجـودا
غـر أنـا هنّـا على كل عبدٍ ... حين صرنـا للتّـرهـات عبيـدا
يـا خليليَّ .. خليـاني وأشجـاً ... ني أناجـيَ أطيافهـنّ وحيـدا
قـد عصتني الدمـوعُ لكنّ قلبي ... في جحيم الأسى يـذوب وليـدا
وجراح الاسـلام من كل صوب ... قاتـلاتي وان بـدوت جليـدا

(فهل عسـيتم ان توليتـم أن تفسـدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) سورةمحمد

من الأدب الإسلامي



*

بعد سنوات عديدة قضاها الكاتب يدعو الى الله تعالى فى شرق القارة الافريقية ـ عاد يقدم خلاصة تجاربه الميدانية فى هذا المقال .

وقد اهتم فيه بابراز الخصائص الهامة فى شخصية الداعية الاسلامى وكيف ينبغى عليه ان يضبط تحركاته عل نبض الأحداث فى بيئته طبقا لمقتضيات الرسالة التى هياه الله لتبليغها الى الناس ..

*

بقلم : فضيلة الشيخ ابراهيم محمد سرسيق
المدرس بكلية الشريعة بالجامعة

أيها الداعية .. من أنت ؟ هل أنت مجرد آدمي يأكل الطعام ويمشي فى الأسواق ؟ هل أنت مجرد موظف يرتزق من دعوته الناس إلى دين الله ؟ أو هل أنت عميل تابع لمذهب سياسي معين ، ترتفع بارتفاعه وتنخفض بانخفاضه ؟ أو أنك راهب متصوف تنتظر أن يأتيك الناس التماساً للبركة وأملا فى « المدد » ! !

من أنت ، على وجه الحقيقة ، بين كل هؤلاء ؟ ؟ أم أنك نموذج فريد يختلف عن كل هؤلاء ؟

- ١ -

لتكن على بينة أيها الأخ الصالح ، أن ظروف الحياة اليوم تختلف كثيرا كثيراً عنها بالأمس ، وتلك سنة الله فى خلقه ، ووسيلة من وسائله سبحانه في تجديد ملكه . ومن ثم فإن طرق الدعوة يجب أن تتكيف مع المتغيرات فى هذا الكون ، كما أن شخصية الداعي يجب أن تتعدل مع طبيعة الكائنات فى هذا العصر . ويحكم على نفسه بالذبول وبالموت : من يظل من الدعاة سالكاً دروبه القديمة ، عاكفاً على طرقه العقيمة تاركاً التزود بالمناهج الارشادية القويمة .

ومن أعجب العجب ، أن ينتهك

ستار الأخلاق والأدب ، بأن يلجأ الداعية إلى ترديد القديم البالى من الخطب : فكأنما يصيح بلسان غير لسان عصره ، ويقدم العظة لغير أهله ومصره ، وكأني بأحد الجالسين يناشده ويعارضه : يا أخانا .. قد حفظنا ماتقول منذ سنين ونسيته ! فكيف بالله تنسى اليوم ماقلته بالأمس ، ولو شئت لرددناه على مسامعك حتى تغرب الشمس ! فغير ياهذا من أسلوبك ، واشتغل عن عيبنا بإصلاح عيوبك ! وقوّم لسانك وبيانك ، فإن اللسان هو ترجمان القلب ، وبقدر مايكون فؤادك تقياً نقياً يكون أسلوبك فى الدعوة مؤثرا وقوياً !

- ٢ -

وأعلم يا أخي رعاك الله وهداك وجعل الجنة مثواك ، أن البلاغة فى الإلقاء الديني ليست فى الأصل تدريباً للسان أو تطويعاً للبيان بقدر ماهي تنقية للقلب وتهذيب لجوارح الانسان . نعم والا فخبرني : كيف ينطق الداعية بما ليس فيه ؟ وكيف ينهاك عن المنكر ثم يأتيه ؟ إنه والله إذن لمأفون مفتون ، وتأمل مافى قول الإله القاهر من سرّباهر (واتقوا الله ويعلمكم الله) . أولست تعلم أن الإيمان دائماً يقترن بالعمل الصالح فى كتاب الله الأقدس ؟ فكيف بمن نصب نفسه للدعوة إلى الله عزوجل؟

(يأيها الذين آمنوا ، لم تقولون مالا تفعلون ؟ كَبُر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) .

كيف يُتوقع من الداعية أن يكون قدوة لغيره وهو لم يستطع أن يصلح ذات نفسه ، إنه والله للإفك المبين ! إن على الداعية أن يخجل من نفسه ، وأن يرهب عقاب ربه ، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ! عليه أن يبلغ من تأديب نفسه وزجرها وكبح جماحها ما بلغه الأسلاف الراشدون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فإنه بغير ذلك لن يكون نافذ التأثير ، قوى العظة ، محركاً لمشاعر الجماهير الساعية إلى الحق وطلب الهداية ، فالجماهير تتأثر بالفعل قبل القول ، وبالقدوة قبل الخطبة ، وبالسيرة الوضيئة النبيلة قبل المحاضرة الجريئة الطويلة .

فساد كبير : عالم متهتك
واكبر منه : جاهل يتنسّك
هما فتنة للعالمين عظيمة
لمن بهما فى دينه يتمسك

روى الطبراني فى معجمه الصغير عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أتخوف

على أمتي مؤمناً ولا مشركاً ، أما المؤمن فيحجزه إيمانه ، وأما المشرك فيقمعه كفره ولكن أتخوف عليكم منافقاً عالم اللسان ، يقول ماتعرفون ، ويعمل ماتنكرون !

فليتأمل هذا كل من يجرى الشهد فى بيانه ، بينما يختبيء ثعبان أرقط تحت لسانه ! يتكلم بالحكمة شعراً ونثراً ، بينما يحمل قلبه شرا وجمرا ..

ونستعيذ بالله تعالى من كل شيطان عنيد .

- ٣ -

ثم تعال يا صاحب البيان الطلىّ ، والأسلوب الشهىّ ..

ماذا يحمل بيانك الصائب من علم وافٍ وفقه كافٍ وحديث شافٍ .. أين التفسير الصريح والحديث الصحيح؟ أين السند القوى ، والدليل الذكى ؟ من أى المناهل ارتشفت واشتفيت ، وعلى أى المصادر اطلعت واكتفيت ؟ أقضيت وقتاً طويلاً فى البحث والتقصي قبل أن تخرج على الناس بفتاواك ، وتقدم إليهم من العلم الصحيح نصائحك وهداياك ؟ تلك هى وربك قاصمة الظهر التي لايمحى عارها أبد الدهر ، اللهم إلا إذا كنت من عظاتك متثبتاً متيقناً ، حتى لاتقع فى الهوة التي وقع فيها مِن قبلك مَن جعلوا هواهم حكماً

في أمور الدين وبئسما صنعوا (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ، ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون) . روى البخارى فى صحيحه ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة . قال : كيف إضاعتها يارسول الله ؟ قال : إذا أسند الأمر إلى غير أهله فأنتظر الساعة » .

وصدق الله العظيم : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) . ومن العلم الصحيح ياداعي الحق أن تهجر البدع وتنبّه الناس إلى ضررها ، وأن تجانب الفساد وتحذر الناس من استشرائه وانتشاره ، فإنها المهمة الكبرى المنوطة بك : أن تحذر الناس من النار : نار الدنيا ونار الآخرة .

(يأيها الذين آمنوا : قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ، لايعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون) سورة التحريم : ٦ .

وقد روى ابن بطة بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لاتركبوا

ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل) .

وسبحان من خلق النفوس وهـو أدرى بأهوائها ومشاربها وهو قادر على إصلاحها .

- ٤ -

« الحكمة » .. جوهرة الداعية .. ويتفرع عن الإيمان بهذه الحقيقة أن يتفهم الداعية نفوس مريديه ، فلا يلصق نفسه بهم وقد وهنوا أو سئموا ، ولا يتخلى عنهم وقد رغبوا وطلبوا .. ولا ينبغي أن ننسى كيف عاتب الله نبيه من فوق سبع سموات فى شأن عبد الله بن أم مكتوم ، ذلك الأعمى الذي جاءه يسعى وهو يخشى . (وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى ، فأنت عنه تلهى ؟ كلا ، إنها تذكرة) .

ومن أخطاء الدعاة : أن يشنوهـا حرباً شعواء على مخالفيهم فى الرأى أو المذهب أو العقيدة . وينسون أو يتناسون ضرورة التطبيق العملي لتوجيهات القرآن المجيد (وقولوا للناس حسنا)

(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن) . (ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً) . وكم من دعاة أخفقوا فى مسعاهم بغلظ طباعهم ، وخشونـة مسلكهم ، وكان يمكنهم أن يؤلفوا حولهم القلوب ، ويفوزوا دائماً بالمطلوب وينالوا الثواب المرغوب . ولهذا كانت وصية الله تعالى لموسى وهارون حين وجههما إلى فرعون . (فقولا له قولا لينا ، لعله يتذكر أو يخشى) . ولم يمدح الله نبيه محمداً بمال أو جمال بل بحسن الخلق (وإنك لعلى خلق عظيم) (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) . (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) .

ومالى لا أجذب ناظريك إلى الكفاح المضني الذى ناء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف كان يسوس الناس أفضل سياسة ، ويعامل الحضري والبدوي منهم بلطف وكياسة ، أفلا يكون لنـا قدوة فى رسول ربنا وهو الذى جمّله الله بحميد الفعال وكريم الخصال ؟

- ٥ -

يا خلفاء الداعية الأعظم : محمد صلى الله عليه وسلم :

كم تغنمون من الثواب إذا نشطتم فى التبليغ ، ولم تكتفوا بالقعود فى حرز منيع ! يادعاة الاسلام ، لا تنتظروا أن يهب الناس اليكم ، ويتزاحموا بالمناكب عليكم ! قوموا من نومكم وابحثوا عن الضال لترشدوه كمـا أرشدكم الله ، وعن المنحرف لتقوموه

بما علمكم الله « مالكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثـّاقلتم إلى الأرض ؟ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ؟ فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل » ! ياقومنا ! لقد كان أمر الله لرسوله بالقيام وتحرير العقول من الأوهام أمرا صريحاً لا تلميح فيه : (يأيها المدثر ، قم فأنذر) ! . (يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) (قل إنما أوحى إلىّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ) . فكيف بكم أيها الدعاة فى هذا العصر .. وقد تضخم العبء ، ونشطت الدعوات الالحادية ، وصار الدعاة أغراضاً ترمى بالسهام !

كيف وقد زادت الثروة ، وانكمش عدد المؤمنين ، وتفاقم الخطر والضرر على الدعاة الموحدين ! اتظلون مع هذا كله خدماً لبطونكم ، عبيداً لشهواتكم أسارى لنسائكم ؟ اذن فاسمعوا ماروواه الديلمي عن علي رضي الله عنه مرفوعاً : (يأتي على الناس زمان همتهم بطونهم ، وشرفهم متاعهم ، وقبلتهم نساؤهم ، ودينهم دراهمهم ودنانيرهم ، أولئك شر الخلق لا خلاق لهم عند الله) .

إن الدعوة إلى الله ليست سلعة تقبل أو ترفض ! وليست عرضاً يبرم أو أو ينقض ! وإنما هي روح الحياة وحياة الروح ، وبدونها يكون المرء مصباحاً بلا شعاع ، ومسافراً بلا متاع ، وكائنا ممسوخاً ضائعاً شر ضياع : (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) . وكلما كان الداعي مخلصاً مناضلا فى سبيل رسالته ، دائب التبليغ لدعوته ـ نصره الله وأعزه ، وأذهب كيد الكائدين له ، وهيأ النجاح لـه أينما حل وحيثما ذهب ! (الله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور) .. فيا أخى هداك الله ، لاتهزل وأعداؤك فى جد . ولا تصخب وشانئوك فى عمل . ولا تنم والمبشرون في يقظة : (فلنسألن الذين أُرسل اليهم ولنسألن المرسلين) .

- ٦ -

أفضل الجهاد : كلمة حق .. عند سلطان جائر ..

آه ثم آه يا إخوتي : الحقّ أقول لكم : كم من المصائب التي طمت وعمت فى عالمنا الاسلامي ، ماكان لها أن تحدث والأمر لله ، لو أن كلمة الحق قيلت في وجه طاغية غشوم !

ترك الدعاة الجهر بالحق فجهر فيهم أعداؤهم بالباطل . تخلوا عن تنفيذ أمر الله فسلط الله عليهم بأعمالهم من لا يخافوه ولا يرحمهم ، فنعموا بجبنهم ، وسمنوا فى ظل خورهم وكسلهم ــ وتسبيحهم بحمد ظالميهم .. فاللهم انـا

نبرأ اليك مما فعلوا ، ونعوذ بجبروتك أن نصنع مثل ماصنعوا .

ونسألك ياذا النعم أن تلهمنا اللجوء إليك حين يحاصرنا الشيطان وأعوانه من بني الانسان ، فلا نكتم حقاً ، ولا نخشى لك رقبا ، ولا تأخذنا فيك لومة لائم . نجاهر فى وجه الظالمين بما قلته وقاله رسولك ، نذكرهم بما نسوا من الحق ، نخوفهم بجلالك وعظمتك أن يحلوا حراماً أو يحرموا حلالا ، نذود الناس أن ينحنوا لغير الله ، أو يذلوا رقابهم لما سوى الله .

من الله فاسأل كل أمر تريده
فما يملك الانسان نفعاً ولا ضرا
ولا تتواضع للكبار فإنهم
من الكبر فى حال تموج بهم سكرا
وإياك أن ترضى بتقبيل راحة
فقد قيل عنها إنها السجدة الصغرى

ياداعية الاسلام .. ارجع البصر فيما حولك من أحوال دنياك : هل ترى إلا دولا تقوم وتنفض ، وحكومات تبني وتنقض ! ورؤساءيجيئون ويذهبون وملايين يولدون ويموتون ؟ هكذا أنت ياصاحبي . « كل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام» !

فضع مصحفك بين يديك ، وأجعل رسالتك نصب عينيك ، وأعلم أن الدعوة هى حياتك ومماتك ، هي ماضيك وحاضرك ، هى أعظم ما يبقى من خير لك ، (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله ، وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين) ؟ ويقول النبي صلى الله عليه وسلم (فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم) . فلتكن أعظم أعمالك بركة عليك بعد موتك : أن يتذكرك بعض من هديتهم إلى الله ، فيدعو لك دعوة صالحة ، واجعل مسعاك لله ، واخلاصك كله لله ، والتجاءك دائماً إلى الله ، وثقتك كلها فى فضل الله ، والله لايضيع أجر من أحسن عملا .

اخوك
ابراهيم محمد سرسيق



الجـــد

للطالب أحمد محسن المعلم

بالجد يمكنني تحقيــق أحلامــــي ... فاترك معــاتبتي بــالله يــا سامــي

انى لأصرف أوقــاتي وانفقهـــا ... فيمــا يؤهلني للمــوقــف السامى

يجتــاز بى الدهر لا ابغى تصرمـــه ... حتى أود لــو أن اليــوم كالعــام

انـــي أرى العمر مهر المجد أطلبـــه ... لذا حرصت عــلى تقيــيم أيــامي

لا أصرف الوقت فى لهو وفى لعب ... فقد نهاني عـــن التبذيـــر إسلامى

ولا أرى فى لزوم الجد من تعــب ... بل راحت النفس فى جدي واقدامي

فكم سهرت على أوراك مكرمـــة ... فمــا تسبب تسهيــدي بايـــلامى

بل لو تفطرت الأعضاء من تعــب ... جــاء النجاح يداوى جرحها الدامى

ما أعذب القصد بعد الجهد تدركه ... ينسيك مــا كان من جهــد وآلام

هذا شعورى شعور الطامحين فهل ... يسرى الطموح إلى أبنـــاء أعمـــامى؟

أخبار الجامعة

صاحب السمو الملكي ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الاسلامية يرأس المجلس الأعلى للجامعة فى السابع عشر من شهر ربيع الأول القادم

سيعقد بمشيئة الله المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية فى السابع عشر من شهر ربيع الأول دورته الأولى للعام الدراسي ٩٥ — ١٣٩٦ هـ فى مقر الجامعة برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء والرئيس الأعلى للجامعة الاسلامية ويبحث المجلس فى هذه الدورة العديد من الموضوعات ومن بينها مشروع ميزانية الجامعة للعام المالى ٩٦ — ١٣٩٧ هـ وانشاء فرع لكلية الشريعة بالجامعة فى مقاطعة القصيم لتكون نواة لجامعة فى تلك المنطقة فى المستقبل القريب بمشيئة الله .

كما سيقوم بدراسة بعض لوائح الجامعة مثل لائحة قسم الدراسات العليا ولائحة المجلس العلمي ولائحة مجلس شؤون الدعوة واللائحة المالية للجامعة ولائحة المكتبات كما سيتم فى هذه الدورة تعيين عمداء للكليات من هيئة التدريس وأعضاء فى مجلس الجامعة وانشاء أقسام فى الكليات .

وسيتفضل سمو الرئيس الأعلى للجامعة بمناسبة قدومه الميمون إلى المدينة المنورة لرئاسة المجلس الأعلى للجامعة بتفقد أقسام الجامعة وسماع بعض المحاضرات فى بعض كليات الجامعة .

وهذه اللفتة الكريمة من سموه نموذج مما تلقاه الجامعة من سموه باستمرار من رعايته أعلاءً لشأنها وتقديراً لرسالتها وتشجيعها لها على السير قدماً نحو تحقيق أهدافها السامية .

الدكتور حافظ غانم
نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالي المصرى
يزور الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

زار الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة صباح الخميس ٥ صفر معالى الدكتور محمد حافظ غانم نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم العالى بجمهورية مصر العربية يرافقه الدكتور صوفى ابو طالب مدير جامعة القاهرة وبعض المسئولين عن التعليم العالى في مصر، وكان فى استقبالهم فضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد نائب رئيس الجامعة وفضيلة الأمين العام الشيخ عمر محمد فلاته وعمداء الكليات وعدد من أساتذة الجامعة — وقد رحب بهم فضيلة نائب رئيس الجامعة وتحدث إليهم عن الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ورسالتها العالمية وعنايتها بتثقيف الطلاب المسلمين من سائر أنحاء العالم الثقافة الإسلامية الصافية .

وبالدعوة إلى الاسلام وتبليغ رسالته الخالدة إلى العالم أجمع ، وأشار فضيلته إلى أهمية الدراسات الاسلامية للطلاب المسلمين فى سائر الجامعات .

ثم تحدث معالى الدكتور محمد حافظ غانم عن دور الجامعات فى نقل الثقافات من جيل إلى جيل وأشاد برسالة الجامعة الاسلامية .

وبعد انتهاء الاجتماع زار معالى الضيف الكريم ومرافقوه بعض أقسام الجامعة ثم ودعوا بما استقبلوا به من حفاوة وتكريم .

وفى مساء اليوم غادر الوفد المدينة المنورة متوجهاً فى رعاية الله إلى جدة وكان فى وداعه بالمطار فضيلة نائب رئيس الجامعة والامين العام والعمداء وبعض المسئولين فى الجامعة .

فهرست


مؤسسة مكة للطباعة والإعلام